معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج

خطاب جديد في العجز الاسلامي والعربي والمشروع النهضوي العربي الوحدوي



الأستاذ الدكتور
يوسف حسن غوانمة



معاهدات الصلح والسلام
بين المسلمين والفرنج

الإهداء

إلى صاحب السمو الملكي الأمير الحسن ولي عهد

المملكة الأردنية الهاشمية ...

النموذج المتميز للقائد المفكر المثقف،

والسياسي المحنك ...

صادق الولاء والانتماء لأمته العربية

ومشروعها النهضوي الوحدوي

اهدي هذا الكتاب

المؤلف



الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م



Printing - Publishing - Distributing



دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

سوق البتراء (الحجيري) هاتف ٦٢١٩٣٨ - فاكس ٦٥٤٧٦١ ص.ب : ١٨٣٥٢٠ عمّان ١١١١٨ الأردن

Tel.: 621938 - Fax. : 654761 - P.O.Box: 183520 Amman 11118 Jordan

معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج

خطاب جديد في العجز الاسلامي والعربي
والمشروع النهضوي العربي الوحدوي

الاستاذ الدكتور
يوسف حسن غوانمة
استاذ التاريخ والحضارة

دار الفكر للنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

سأطرح هذا السؤال مع بداية هذه الدراسة، هل يجوز للمسلمين عقد المعاهدات والاتفاقات؟؟ لن أجيب على هذا السؤال من ناحية شرعية، فسأتركه للمختصين في هذا المجال، ولكن الذي جلب انتباهي كمؤرخ، أن المسلمين عقدوا العديد من الاتفاقات والمعاهدات منذ فجر الإسلام، نشهد ذلك في الحجاز، ومن ثم في بلاد الشام اثناء الفتوحات العربية الاسلامية، ثم فيما بعد في اصقاع عديدة من العالم، ومع امم وشعوب شتى. والملاحظ أن العديد من هذه المعاهدات والاتفاقات قد عقدها العرب المسلمون من منطلق قوة، كانوا هم الاقوياء وأعداؤهم الأضعف. الا أن الامر تغير فيما بعد وخصوصا في فترة الغزو الفرنجي (الصليبي) لبلاد الشام.

وستركز هذه الدراسة على التسلسل التاريخي لهذه المعاهدات والاتفاقات، مع تحليل للظروف التي ادت الى ابرامها في مرحلة من أحلك المراحل التي مرت بها امتنا العربية، تمزقا وتفتتا وانحلالاً وضياعا، مع تغييب للهوية العربية ومصادرة الشخصية العربية وقتلها، حتى ان الامة بلغت حالة من اليأس والخور والخذلان لاحد لها. ولقد كان للصراع المذهبي والعرقي (القومي) أثره البعيد في





تمزيق أوصال هذه الامة ووحدتها الوطنية والقومية، وكان للقوى الاجنبية (التركية والكردية والجركسية) التي حكمت بلاد الشام والعراق السبب المباشر في هذا الوضع المأساوي الذي وصلت اليه الامة والانسان العربي، بالاضافة الى العداء الذي استحكم بين الخلافتين العباسية (السنية) في بغداد والفاطمية (الشيعية) في القاهرة، وكان ميدان هذا العداء والصراع في بلاد الشام.

ونتيجة لهذا الصراع بين الخلافتين تكّون في بلاد الشام ما يسمى بامارات المدن من حكام سلاجقة وتركمان، والقليل منها من حكام عرب محليين. حتى اصبحت بلاد الشام رقعة شطرنجية متباغضة متحاربة متصارعة، وقد هيأت هذه الظروف الجو المناسب للقوى الفرنجية من النجاح بسهولة ويسر في اجتياح الساحل الشامي واحتلاله متوجين اعمالهم هذه باحتلا ل المدينة المقدسة في فلسطين التي كانت هدفا رئيسا لهم، منذ خروجهم من أوروبا باتجاه الديار الشامية.

صدم العالم العربي والاسلامي للنجاحات التي حققها الفرنج على الارض الشامية، وجبن الزعماء من الوقوف في وجه هذا المد الاوروبي الاستعماري الاستيطاني، بسبب فرقتهم وتباغضهم وخوفهم وجبنهم والشك الذي استشرى فيما بينهم. فلم يثقوا ببعضهم، مما دفع البعض منهم الاتصال والتحالف مع الفرنج، لتثبيت حكمه وتكريس وجوده ولضرب جيرانه من الزعماء والحكام. وللاسف فقد كانت مصر الفاطمية هي السباقة الى عقد المعاهدات والاتفاقات مع الفرنج وتقديم



المساعدات المالية والغذائية اليهم، نكاية باعدائهم السلاجقة الاتراك في بلاد الشام، وادى هذا التصرف الى تدهور الجبهة الاسلامية وضياع القدس وفلسطين.

لقد جبن الحكام المسلمون، ولكن اهالي بلاد الشام لم يجبنوا او يخافوا، كان الاهالي على درجة من الوعي لافعال حكامهم، لذا وقفوا بحزم وقوة ضد أي تقارب مع الفرنج، ثاروا على حكامهم الذين تعاونوا مع الفرنج وابعدوهم عن الحكم، كما فعل أهالي دمشق مع حاكمهم معين الدين أنر، كما شكلوا فرق المقاومة الشعبية لمقاومة القوى الفرنجية والتعرض اليهم وقتلهم اينما وجدوهم كما فعل أهالي فلسطين والساحل الشامي.

وهكذا فان التشرذم والخلافات والاطماع الشخصية والصراعات الاقليمية والقومية والمذهبية كانت السبب في ضياع الساحل الشامي وفلسطين، وللتصفية الجسدية التي تعرض لها انساننا العربي في المدن الشامية.

وفي خضم هذه الظروف الصعبة ينهض العرب والمسلمون بمشروعهم النهضوي الوحدوي، وقد قاوم الفرنج والغرب الاوروبي من خلفهم هذا المشروع بضراوة وقسوة، لان وحدة العرب والمسلمين فيه خطر عليهم، وانهاء لوجودهم على الارض العربية. بدأ هذا المشروع النهضوي الوحدوي بمحاولة توحيد العراق والديار الشامية، فاستماتوا في منعه واحباطه الا ان نور الدين محمود زنكي فوت عليهم ذلك. ثم تطور هذا المشروع النهضوي الوحدوي ليضم مصر



والشام والعراق، لذا عملوا جهدهم لاحباطه ووجهوا حملاتهم نحو مصر لاحتلالها ومنع هذا المشروع، الا ان صلاح الدين الايوبي فوت عليهم الفرصة ايضا، فكانت وحدة مصر والشام والعراق. وبهذه الوحدة تم النصر في حطين وبدأ المد الفرنجي الاوروبي الاستعماري الاستيطاني بالانحسار التدريجي حتى كانت نهايته في العصر المملوكي على يد السلطان الاشرف خليل.

وقد قسمت هذه الدراسة الى اربعة فصول ، فالاول عن المعاهدات والاتفاقات بين المسلمين والفرنج مع بدايات الاحتلال الفرنجي لبلاد الشام، اما الثاني فبحث في معاهدات المسلمين والفرنج بعد صلح الرملة حتى قيام الدولة المملوكية، وكان الفصل الثالث عن معاهدات المسلمين والفرنج في العصر المملوكي حتى تحرير عكا. وتناول الفصل الرابع دراسة لبعض نصوص تلك المعاهدات واهم ما تطرقت اليه. وانهيت كل فصل بدراسة تحليلية لهذه المعاهدات والاتفاقات والظروف التي احاطت بها، مع التاكيد على أن معظم هذه الاتفاقات قد عقدها الزعماء المسلمون الذين ليسوا من اصل عربي، فكانوا اما سلاجقة او اكرادا او اتراكا، لان الوطن العربي كان اذ ذاك يحكم من قبل اقليات عنصرية اجتاحت هذا الوطن وحكمته باسم العقيدة. ومع ان الانسان العربي قد تقبل هذه الدول بسبب ان هذه الدول حملت لواء الجهاد وتحرير الارض العربية الا انه في نفس الوقت كان رافضا لهذه العناصر الحاكمة، لانها ابعدته عن الحكم وسلبته حقه في المشاركة السياسية والادارية والعسكرية، فاصبح الانسان العربي



على هامش الاحداث. وقد عبر عن ذاته بمساهمته ومشاركته في الانتفاضات والثورات التي كانت تقوم في مصر وبلاد الشام ضد العنصر التركي، من منطلق قومي. لان الصراع كما عبر عنه المؤرخون كان صراع (الجنس)، اي الجنس التركي والجركسي، ضد الجنس العربي، او الجنس التركي ضد الجركسي، او التركي ضد الكردي (فالاكراد لا يدينون للاتراك، والاتراك لا يدينون للاكراد» (ابن شداد، ص٢٣٢). ومع تقديرنا للمشروع النهضوي الوحدوي الاسلامي العربي هذا الا انه هضم العرب حقوقهم وطمس هويتهم، وراح فيما بعد يعمل على اذابة الشخصية العربية والغاء لغته القومية، وخصوصا في العصر العثماني. وهذا ما رفضه العرب، وقاموا بمشروعهم النهضوي الوحدوي العربي، بفكر عربي وسواعد عربية وقيادة عربية خالصة، فكانت اذ ذاك النهضة العربية الحديثة بثورتها التي شارك فيها احرار العرب من الشام ومصر والعراق والحجاز.

أرجو ان تكون هذه الدراسة حافزا لاجيالنا للنهوض بمشروعهم النهضوي الوحدوي المعاصر، فكل الاتفاقات والمعاهدات كانت محددة بالسنوات والشهور، وعقد معظمها من منطلق القوة الذاتية لامتنا، وكانت دوما تنقض مع الفرنج انفسهم ، كانت هذه المعاهدات فرصة لالتقاط الانفاس لجولة وجولات قادمة لتحرير الارض العربية، فالمعاهدات لم تحد من مطامع الفرنج التوسعية والاقتصادية والعسكرية والاستيطانية.

أمل ان يجد القارئ في هذه الدراسة ما يفيد فنحن ان درسنا



احداث الماضي انما لنأخذ منها العبر والدروس، من أجل حاضر قوي ومستقبل امثل لامتنا العربية من المحيط الى الخليج، لن تفنى هذه الامة ولن يموت الشعور القومي لديها، مهما كبرت المؤامرات وزادت حدتها واشتد اوارها، وان المشروع النهضوي الوحدوي العربي آت لا محالة لدفن المشاريع الاقليمية القادمة من خارج المنطقة العربية والتي تتنافى مع الاهداف القومية العربية.

إربد في ٣٠ آذار ١٩٩٥م
أ.د. يوسف غوانمة





الفصل الأول



معاهدات المسلمين والفرنج منذ الحملة الفرنجية الأولى حتى صلح الرملة


www.al-maktabeh.com
مكتبة
المهتدين



المعاهدات والاتفاقات بين المسلمين والفرنج
مع بدايات الاحتلال الفرنجي لبلاد الشام

لن نخوض في ماهية الحروب الفرنجية واسبابها، فليس هذا موضوع بحثنا، فقد وصلت الحملة الاولى الى انطاكية في نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وشددت عليها الحصار مدة تسعة اشهر، فسقطت المدينة بايديهم في اول رجب ٤٩١هـ/ ٣ حزيران ١٠٩٨م. اما بيت المقدس فكان يحكمه الاميران التركمانيان سكمان وايلغازي ابني الامير ارتق بن اكسب. ففي شهر شعبان من هذه السنة خرج الأفضل بن بدر الجمالي وزير الدولة الفاطمية، من القاهرة باتجاه بيت المقدس، وتمكن من انتزاعه من صاحبيه بعد حصار دام اربعين يوما، وعين عليه واليا مصريا (افتخار الدولة)، ثم عاد بقواته الى مصر.

فما هو السبب الذي جعل الافضل يخرج من القاهرة الى بيت المقدس بعد سقوط انطاكية بشهر واحد وضمه الى املاكه؟؟ فالمصادراللاتينية والاجنبية المعاصرة تذكر بان الافضل ارسل سفارة الى الفرنجة بينما كانوا يحاصرون انطاكية وذلك بسبب خشيته من ان الحصار الطويل سوف يسبب الضعف والملل اليهم، لذا ارسل هذه السفارة يرجو قادتهم مواصلة الحصار، واكد لهم انه سيساعدهم بالامدادات العسكرية والمواد الغذائية، وطلب من سفرائه كسب ود



القادة الفرنج، وطلب عقد معاهدة معهم. وقد استقبل القادة الفرنج السفارة المصرية بالترحاب والحفاوة، وعقدوا معهم عدة اجتماعات وارسل الفرنج برفقتهم سفارة الى القاهرة للتباحث مع الأفضل في الامور التي اتفقوا عليها. واتفق الطرفان بموجب هذه المعاهدة على اقتسام بلاد الشام بينهما، فالاجزاء الشمالية للفرنج، أما الاجزاء الجنوبية فهي من نصيب الافضل، وبموجب هذا الاتفاق خرج الافضل من مصر الى بيت المقدس وانتزعه من صاحبيه لانه اصبح ضمن املاكه.

ولم يكتف الافضل بذلك، بل ارسلت القاهرة سفارة اخرى الى الفرنج بينما كانوا يحاصرون طرابلس، هنأهم على هذه الانتصارات، وطلب منهم التشديد على الاتراك السلاجقة والخلافة العباسية في بغداد، وحضهم على احتلال المزيد من املاكهم في الديار الشامية. وطلب منهم كسر شوكة الاتراك والحد من عجرفتهم المفرطة. وكمكافأة لهم على ما فعلوه، ذكر لهم انه سيمنحهم امتيازا خاصا، وذلك بالسماح لهم بزيارة المدينة المقدسة كمجموعات صغيرة غير مسلحة تتراوح كل مجموعة بين ٢٠٠ الى ٣٠٠ حاج، وقد اعتبرالفرنج هذا العرض اهانة لهم، لذا اجبروا السفارة المصرية العودة الى القاهرة ومعهم الجواب الذي جاء فيه: ان الجيش الفرنجي لن يقبل الذهاب الى القدس في فصائل صغيرة طبقا للمقترحات المصرية، وان هذا الجيش سيزحف الى القدس كجيش واحد متحد. (يوسف غوانمة، دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين، ص١١٣ -١٣٨)



ومما تجدر ملاحظته ان بلاد الشام في هذه الفترة كانت موزعة بين الملوك والامراء السلاجقة والعرب على النحو التالي:

- مملكة حلب وكان على رأسها : الملك رضوان بن تتش.
- مملكة دمشق وكان على رأسها : الملك دقاق بن تتش.
- امارة أنطاكية وكان على رأسها: الامير ياغي سيان.
- امارة بيت المقدس وكان على رأسها: الاميران سكمان وايلغازي.
- امارة شيزر وكان يحكمها: الامير العربي ابو العساكر سلطان بن منقذ.
- امارة طرابلس وكان يحكمها: الامير العربي ابو علي فخر الملوك ابن عمار.
- امارة حمص وكان يحكمها: الامير العربي جناح الدولة ابن ملاعب.

أما السلاجقة فقد انقسمت دولتهم بسبب صراعاتهم على السلطة على النحو التالي:

- سلطنة فارس (أصفهان) على رأسها السلطان بركياروق وكان يحكم بغداد ايضا.
- مملكة خراسان وما وراء النهر، على رأسها ابو الحرث سنجر.
- سلطنة سلاجقة الروم، على رأسها قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش، هذا بالاضافة الى خلافتين:

الاولى : الخلافة العباسية في بغداد، **والثانية** : الخلافة الفاطمية



في القاهرة.

وكانت جميع هذه القوى ممزقة متشاحنة متصارعة عند فجر الحروب الفرنجية مما كان له اكبر الاثر في نجاحها وتكريس وجودها في الوطن العربي لقرنين من الزمن. ويصف ابن القلانسي حالة الامة العربية والاسلامية انذاك قائلا :"وفي هذه السنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م وردت الاخبار بما أهل خراسان والعراق والشام عليه من الخلاف المستمر والشحناء والحروب والفساد وخوف بعضهم من بعض لاشتغال الولاة عنهم وعن النظر في احوالهم بالخلف والمحاربة" (ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٠).

اتجهت القوات الفرنجية بعد فتح انطاكية نحو الجنوب فما هو موقف الامارات العربية تجاه هذه القوات؟؟. ان الامارات التي استقلت في بعض المدن الشامية عند ضعف السلطة السلجوقية هي: شيزر وطرابلس وحمص. وقبل ان يتجه الفرنج الى هذه الامارات استولوا على معرة النعمان في ١٢ صفر ٤٩٢هـ/ ١١ كانون اول ١٠٩٨م، وكان اهلها قد طلبوا العون والمساعدة من الملك رضوان صاحب حلب، وجناح الدولة صاحب حمص، الا ان صيحاتهم لم تجد تجاوبا، ويذكر ابن القلانسي ان الفرنج قتلوا في معرة النعمان عشرين الف رجل وامرأة وصبي.

وعندما كان الفرنج في كفر طاب، ارسل اليهم ابو العساكر سلطان ابن منقذ صاحب شيزر، سفارة تعهد بموجبها بالا يعترض سبيلهم عند اختراقهم اقليم شيزر وانه سيقدم اليهم كل ما يحتاجون اليه من



غذاء وميرة، وقد لاقت هذه العروض قبولا لدى ريموند أحد قادة الفرنج. وفي ربيع الاول ٤٩٣هـ / ١٧ كانون ثاني ١٠٩٩م، ارسل ابن منقذ للفرنج دليلين ليرشدهم في عبورهم اقليم العاصي.

اما امير حمص جناح الدولة ابن ملاعب فقد ارسل الى الفرنج رسلا بينما كانوا في حصن الاكراد، وكان هؤلاء الرسل محملين بالهدايا الثمينة وتعهد بتقديم الاموال والطعام لهم، شريطة ان لا يتعرضوا له بسوء، وقد قبل الفرنج هذا العرض وكان ذلك في ربيع اول ٤٩٣هـ/ ٢٧ كانون ثاني ١٠٩٩م.

وبينما كان الفرنج في طريقهم الى طرابلس مروا بمدينة مصياف، فخرج اليهم اميرها العربي وعقد معهم اتفاقية مقابل تقديم الاموال والميرة لهم. وعندما كانت القوات الفرنجية في طريقها نحو الجنوب، ارسل امير طرابلس فخر الملوك ابن عمار رسله الى الفرنج وتعهد بدفع الاموال لهم، كما بادر برفع اعلامهم على اسوارالمدينة وغيرها من المواقع اشارة الى ولائه لهم. وبالمقابل ارسل الفرنج رسلهم الى ابن عمار ليتفقوا على الشروط، ولاحظ الرسل مقدار غنى طرابلس، لذا قرروا زيادة المبالغ المتفق عليها.

وكانت مدينة جبلة ضمن املاك ابن عمار الا ان القاضي ابو محمود عبدالله بن منصور استطاع الاستقلال فيها، وعندما حاصرها الفرنج وضيقوا عليها، خرج اليهم القاضي واتفق معهم على ان يدفع لهم مبلغا من المال وعددا من الخيول.

وبعد ان اطمأن الفرنج الى ان الامور تسير بمثل هذا اليسر





والسـهـولة، غـادروا اقليم طرابلس فـي ١٦ ايار ١٠٩٩م، وقـد تـولى ارشـادهم على الطريق ادلاء من طرابلس ارسلهم ابن عـمـار مـعـهم، فـوصلوا بيروت بعد ثلاثة ايام. وقـد قدّم اهل بيـروت للفـرنج الامـوال مقابل ان لا يتعرضوا الى مزارعهم ووعدوهم بالتبعية لهم وحدث نفس الشئ مع صيدا وعكا والرملة.

واخيرا اصطفت القوات الفرنجية حول بيت المقدس، وبعد حصـار دام اربعين يومـا تمكنوا من دخول المدينةالمقدسة وذلك في ٢٢ شعبان ٤٩٢هـ/ ١٥ تموز ١٠٩٩م. أمـا مـدينة نابلس فـقـد سـارع اهلهـا الى الاستسلام بعد سقوط المدينة المقدسة باسبوعين فتسلمها الامير تنكرد في غير صعوبة.

أمـا دمشق فلم يقم صـاحبـها الامير دقاق باي جهد عسكري مؤثر تجاه هذه القـوات الغازية ، وان قام بأي جـهد فكان لا شئ تماما كتلك الجـهود التي قـام بهـا الامـراء السـلاجقة في بلاد الشـام، او تلك التي قـام بهـا الافـضل بن بدر الجـمـالي وزير مـصـر الفـاطمـيـة. وذلك لان الفـرنج كـانوا قـد راسلوه بينمـا كـانوا في انطاكـيـة مـعلنين بـانهم لا يريدون شيئـا من املاكه، وقد اكد ذلك ابن الاثير (حوادث ٤٩١هـ). وبعد موت دقاق تولى امارة دمشق الامير طغتكين، ولم يكن طغتكين هذا باحسن حـالا من بقيـة الامـراء السـلاجقـة، لذا ارسل سفـارة الى بلدوين الاول ملك مملكة بيت المقدس مؤلفة من خمسة رجال طالبا عقد هدنة مـع الفـرنج، وبموجب هذه المعـاهدة اتفق الطرفـان على اقـتسـام

السـواد وجبل عـوف «الجـولان وعـجلون»، بحـيث يكون ثلث دخلهـا للفرنجة، والثلث الثاني للسلاجقة في دمشق، أما الثلث الاخير فيكون للفلاحين العرب اصحاب الارض واهلها.





دراسة تحليلية:

وقف المؤرخون العرب كثيرا عند الحملة الفرنجية الاولى، وهذا النجاح الذي بلغته، وتناولوا في تعليقاتهم الموقف المثير للدهشة الذي وقفه الافضل بن بدر الجمالي وزير الدولة الفاطمية وتعاونه معهم، وتقديم العون لهم، مع تحريضهم على مواصلة حصار أنطاكية، ومحاربة الاتراك السلاجقة. وكان بمقدور الافضل وقف هذا الزحف الاوروبي لان قوة مصر آنذاك كانت حوالي عشرين الف مقاتل، أما القوات الفرنجية فلم تتجاوز الخمسة الآف فارس وعشرين الفا من المشاة معظمهم من الاقنان والعبيد الذين لا يحسنون القتال. حتى ان المؤرخ ابن تغري بردي علق على ذلك في كتابه (النجوم الزاهرة ج٥، ص١٤٨) قائلا: "والعجب ان الفرنج لما خرجوا الى المسلمين كانوا في غاية الضعف من الجوع وعدم القوت، حتى انهم أكلوا الميتة وكانت عساكر الاسلام في غاية القوة والكثرة، فكسروا المسلمين وفرقوا جموعهم". أما ابن الاثير (الكامل ج٨، ص١٨٦) فقد اتهم الافضل بانه كان على اتصال باوروبا وانه هو الذي طلب منهم القدوم الى بلاد الشام فهو يقول :"ان اصحاب مصر العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام الى غزة ... فخافوا وارسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج الى الشام ليملكوه". أما المؤرخون اللاتين فقد ذكر وليم الصوري ان خليفة مصر اكثر المسلمين



قوة بسبب ثروته الكبيرة وقواته العسكرية، وقال ايضا ان حصارالفرنج لانطاكية قد اثلج صدر الافضل. (William of Tyre, Vol. 1, p. 223).

لقد كان للصراع الذي استشرى بين الفاطميين والسلاجقة اثره في موقف الافضل هذا فقد ارسل للفرنج يطلب عقد معاهدة معهم بموجبها يقتسم بلاد الشام معهم، فالاجزاء الشمالية للفرنج ، أما الجنوبية فللأفضل ومن ضمنها بيت المقدس وقدم لهم كل مساعدة ممكنة كي يضرب الاتراك السلاجقة. الا ان الفرنج زحفوا نحو القدس وقتلوا كل سكانها واحرقوا اليهود الذين كانوا فيها بعد ان جمعوهم في كنيسهم واضرموا النار فيه وبمن فيه. لقد نقض الفرنج الاتفاق لانهم شاهدوا الموقف المتخاذل الذي وقفه الزعماء المسلمون منهم، وكيف كانوا يكيدون لبعضهم البعض.

أما القوى المحلية الشامية من سلجوقية وعربية فقد حاولوا جمع صفوفهم لنجدة انطاكية، وقد تم لهم ذلك فحاصروا انطاكية وضيقوا عليها الحصار، الا ان الخلاف ما فتئ ان دب بين صفوفهم واصبح كل منم يشكك في صدق نوايا الاخرين، واخيرا تركوا انطاكية لمصيرها التعس، وعاد كل منهم الى امارته. وبذا فشلت الجهود في تآلف قلوب الحكام الشاميين والوقوف صفا واحدا في وجه العدو المشترك، وانقاذ البلاد من احتلال اجنبي محتوم. وفي المقابل وحتى يحافظ كل امير على امارته عقد اتفاقا او معاهدة مع الفرنج واصبح الجميع يسيرون في فلكهم وتحت حمايتهم.



لقد تخلت الخلافة الفاطمية عن بلاد الشام وبيت المقدس بالذات، وعندما حاولوا نجدة اهل الشام فيما بعد فكانت حملاتهم مجرد حملات استعراضية، حتى ان المؤرخ ابن تغري بردي قال وليتهم لم يرسلوها. أما الخلافة العباسية في بغداد، فقد تنادى العلماء والفقهاء الشاميون وخرجوا الى بغداد لطلب النجدة من الخليفة ابو العباس المستظهر بالله، وجلسوا في الجامع الكبير ببغداد وذكروا ما حل بالديار الشامية والمقدسات الاسلامية، وتذكر المصادر التاريخية بانهم (بكوا وأبكوا). الا أن الخليفة لم يكن له نفوذ فطلب من السلطان السلجوقي نجدة اهل الشام، فارسل السلطان قوات رمزية فهُزمت في أول لقاء مع الفرنج، وبذا تُركت بلاد الشام لمصيرها دون نجدة من القاهرة أو بغداد.

ثم تطلع الناس الى القوى الاسلامية الاخرى خارج بلاد الرافدين ومصر والشام، فاتجهت الانظار الى السلطان محمد السلجوقي سلطان سلاجقة فارس، فارسل حملة الى بلاد الشام بقيادة الامير برسق. الا ان الامراء السلاجقة في بلاد الشام وهم طغتكين اتابك دمشق، وايلغازي بن ارتق امير ماردين، ولؤلؤ الخادم الوصي على عرش حلب، تحالفوا مع الفرنج في انطاكية وطرابلس وبيت المقدس ، خوفا من ان ينتزع سلاجقة فارس اماراتهم وممالكهم، وبذا حارب المسلمون الاتراك والتركمان الى جانب القوات الفرنجية لاول مرة في معركة عند أفامية، انهزمت فيها قوات محمد السلجوقي وقتل قائده برسق، وبعد هذه الهزيمة لم يقم السلطان محمد السلجوقي بارسال





اية قوات الى بلاد الشام لنصرة أهلها او لمحاربة الفرنج هناك.

وهكذا فقد حُيدت القوى الاسلامية خارج بلاد الشام، سواء في العراق، او فارس، او مصر، مما اعطى الفرصة للفرنج في بيت المقدس من التوسع خارج فلسطين. فاحتلوا الاجزاء الجنوبية من شرق الاردن (الكرك والشوبك والعقبة) وتدخلوا في تجارة البحر الاحمر محاولين السيطرة على الاجزاء الجنوبية من الجزيرة العربية. بل ان الفرنج في بيت المقدس عمدوا الى استراتيجية هامة وهي محاولة السيطرة على مصر نفسها، لايمانهم ان القاهرة هي مفتاح بيت المقدس وفلسطين، فان سيطرتهم على مصر تؤمن لهم السيطرة الكاملة والدائمة على بيت المقدس والديار الشامية. لذا قام بلدوين الاول بغزو مصر سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م فوصل الي مدينة تنيس الا انه مرض وما لبث ان توفى في نفس السنة وبذا فشلت اول محاولة لاحتلال مصر والسيطرة عليها.

اذن ضعف الموقف الاسلامي والعربي وتخاذل قادة المسلمين والعرب، وانقساماتهم واطماعهم الشخصية والاقليمية، وانعدام الثقة فيما بينهم، وظلمهم وتعسفهم لرعاياهم، وخوف بعضهم من بعض، كل ذلك أدى الى تحالفهم مع الاجنبي وتسليمه الارض العربية، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل تحالفوا معه ضد بعضهم بعضا. وحاربت جيوشهم مع جيوشه ضد خصومهم من ابناء جنسهم ودينهم. لقد كان الحكام في العصور الوسطى هم آفة هذه الامة، وسبب مصائبها وضياع مقدساتها الا ترى معي ان ضياع فلسطين في اواسط هذا



القـرن كـان بسـبب الفـرقـة والخـلاف والتناحـر بين اقطار الامـة الواحدة؟؟؟.

الموقف الشعبي في بلاد الشام اثناء وبعد الحملة الفرنجية الأولى:

تيقن المواطنون في بلاد الشام من تخاذل قادتهم وتعاونهم مع الاجنبي ضد مصالحهم الوطنية والقومية والدينية، والتفريط بالارض والاهل معا. لذا كان لزاما عليهم ان يعتمدوا على انفسهم ويدافعوا عن ارضهم وممتلكاتهم بكل بسالة وشجاعة. فعندما حط الفرنج حول بيت المقدس، وشددوا عليها الحصار، لم تكن الحامية المصرية قادرة على الدفاع عنها لوحدها. لذا قدم المواطنون من جميع المناطق المجاورة واعتلوا الاسوار للدفاع عن المدينة المقدسة، ويذكر وليم الصوري مؤرخ مملكة بيت المقدس اللاتينية ذلك قائلا: "ان اهالي القدس والمناطق المجاورة استماتوا في الدفاع عن مدينتهم، وحملوا المؤن والذخائر واستعدوا للحصار بعد ان اعتلوا الاسوار والابراج وراحوايراقبون كل حركة من حركات الجيش الفرنجي" (William of Tyre, Vol. 1, p.354).

اما في بقية انحاء فلسطين، فقد كانت المقاومة الشعبية عنيفة، فقد رفض الاهالي الوجود الفرنجي في بلادهم ولم يقبلوا التعاون او

التعامل معهم، وأما سكان المدن والقرى الساحلية، فقد هجروها واتجهوا الى الداخل او الى منطقة شرقي الاردن او دمشق، فتعطلت الزراعة في الساحل الشامي. فالفرنج في بداية وجودهم في فلسطين لم يفلحوا الارض، بل كانوا مجرد قوات احتلال اجنبية. وكانت سياسة الفرنج تجاه اهالي فلسطين تتمثل في عرض عضلاتهم وارهابهم، الا ان المقاومة الشعبية بقيت متأججة حتى تمكنوا من السيطرة على الطريق الذي يربط الرملة ببيت المقدس، ومنعوا الفرنج من ولوجه. وقد عبر وليم الصوري عن هذه المقاومة قائلا :كانت البلاد مليئة بالعصابات، ومن جراء ذلك اصبح الطريق بين الرملة والقدس محفوفا بالمخاطر.(William of Tyre, Vol.1, p. 409). وظلت هذه المقاومة الشعبية (الانتفاضة) متأججة في فلسطين، فقد رفضوا الوجود الفرنجي الغربي الاستيطاني في وطنهم، ثم انضموا فيما بعد الى كتائب المسلمين في بلاد الشام، وعملوا معهم كأدلاء عندما تدخل هذه القوات الاراضي الفلسطينية. ويذكر وليم الصوري عن تأثير المواطنين الفلسطينيين قائلا: لقد كانوا اعداء قساة لشعبنا، وعلموا عدونا كيف يدمرونا، وكانوا قادرين على ذلك، لانهم يملكون معلومات كافية عن حالتنا، اذ لا يوجد اكثر دمارا وتأثيرا من وجود عدو داخل ابوابنا، وقد حولوا كل البلاد الى مقاطعة من الرعب، ولم يجرؤ أي شخص الخروج من التحصينات (William of Tyre, vol.1, p.408).

وفي خضم هذا الصراع في بلاد الشام تظهر قوة مذهبية كان لها دورها في مساعدة الوجود الفرنجي في الديار الشامية، انها القوة

الباطنية، او غلاة الشيعة الباطنية، وقد حاول هؤلاء تكريس وجودهم في بلاد الشام متخذين من فارس منطلقا لهم (قلعة الموت). وقاموا بقتل عدد من القادة المسلمين نذكر منهم الامير مودود صاحب الموصل اغتالوه في دمشق سنة ٥٠٧هـ / ١١١٣م وفي سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م قتلوا الامير آقسنقر البرسقي صاحب الموصل ايضا، وسيف الدين بكتمر صاحب اخلاط قتلوه سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م. وقد حاولت هذه القوة المتطرفة السيطرة على بعض المدن الشامية كمدينة دمشق، فبعد ان ازداد نفوذهم فيها، بدأ الاهالي يتذمرون منهم، وكان وزير دمشق المزدقاني احد المتواطئين معهم، وبلغ بهم الامر بان اتفقوا على تسليم دمشق الى الفرنج مقابل اعطائهم مدينة صور، وحددوا احد ايام الجمعة لفتح ابواب دمشق للفرنج بينما يكون المسلمون في المساجد. ولكن المؤامرة انكشفت، فقام صاحب دمشق تاج الملوك بوري بن ظغتكين على وزيره المزدقاني وقتله في رمضان سنة ٥٢٣هـ/١١٢٩م. ثم هجم اهالي دمشق على الباطنية وفتكوا بهم، ويذكر ابن القلانسي (ص٢٢٣) بانهم افنوهم جميعا تقطيعا بالسيوف وذبحا بالخناجر وشنقوا زعيمهم شاذي الخادم.

وعندما وصلت الانباء الى بانياس بانتفاضة دمشق هذه، قام زعيم الباطنية (اسماعيل)، فراسل الفرنج ودعاهم الى امتلاك دمشق وعرض عليهم المساعدة، وتعبيرا عن حسن النوايا تجاههم سلم اليهم قلعة بانياس في اوائل سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م. ومن بانياس سار الفرنج نحو دمشق وحاصروها الا ان قوات دمشق تمكنت من تشتيت قواتهم

فعادوا الى ديارهم خاسرين.

ركزت الباطنية وجودها في اواسط بلاد الشام، وظلوا مصدر ازعاج للانحلال السياسي والاجتماعي في الديار الشامية طيلة الوجود الفرنجي فيها، وكان الفرنج يجدون فيهم القوة التي يمكن محالفتها والاعتماد عليها للوقوف في وجه القوات الاسلامية فارسلوا اليهم الهدايا ودفعوا اليهم الاموال. وبقيت العلاقات السياسية والعسكرية مستمرة بينهما حتى عهد الظاهر بيبرس الذي انهى هذه العلاقة وقضى على نفوذهم العسكري والسياسي وذلك سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م .

وهكذا فقد بلغ العجز الاسلامي والعربي حدا جعلت القوى الاسلامية تتهاوى تحت اقدام الفرنج، وتسعى للتحالف معهم، وتدفع الاموال اليهم، كل ذلك نتيجة للخلافات والصراعات العسكرية والسياسية والمذهبية، وفي غياب لوحدة الصف ولم الشمل.



المعاهدات والاتفاقات بين المسلمين والفرنج بعد الحملة الأولى حتى معركة حطين:

وفي خضم هذه الصدمة التي اصابت العرب والمسلمين واحتلال بلادهم وقتل مئات الالوف منهم، تظهر شخصية عماد الدين زنكي في الموصل شمالي العراق، لقد اتخذ عماد الدين منذ تسلمه امارة الموصل سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م من قبل السطان محمود السلجوقي الوقوف في وجه المد الفرنجي في بلاد الشام وشرق الاناضول وشمال العراق هدفا له. وكان السلطان محمود يهدف من تولية عماد الدين زنكي امارة الموصل كي يكون على رأسها رجل شهم شجاع ذو راي وتجربة ليذود عنها ويحفظها ويحمي حوزتها، خصوصا وان الموصل خط الدفاع الاول عن حاضرة الخلافة العباسية في بغداد.

عمل الاحتلال الفرنجي لبلاد الشام الى ارهاب المواطنين وكسر شوكة القوى الاسلامية المحيطة، والتدخل في شؤونها الداخلية، حتى بلغ بهم التهور ان اصبحوا يتدخلون في المقدسات الاسلامية في الحجاز. وصاروا يتعبثون بالبحر الاحمر وتجارته القادمة من الشرق الاقصى عبر عدن واليمن، وبلغت الجرأة بهم حتى انهم كانوا يدخلون مدينة دمشق ويستعرضون الرقيق، فمن كان من اصل رومي خيروه بين البقاء او السفر الى بلاده. كما وانهم تمكنوا من فرض الاتاوات والضرائب على المناطق الشامية الداخلية، حتى على الرحا القريبة من باب الجنان، أحد ابواب مدينة حلب. أما في السواد (الجولان)، وجبل



عوف (عجلون)، فقد كانت هذه المنطقة مثالثة: للفرنج ثلث والثاني لصاحب دمشق والثالث للفلاحين اصحاب الارض.

وهكذا فاحوال بلاد الشام والوجود الفرنجي فيه كان يثير القلق والخوف معا، ومن هنا فكان لا بد من عمل يكون الجذوة او الشعلة للانطلاق للعمل الكبير وتحرير الارض والمقدسات. لذا اخذ عماد الدين زنكي على نفسه مهمة البدء في الانطلاقة، وكان لا بد له من استراتيجية متوازنة كي يبدأ بهذه المهمة دون معارضة او عراقيل.

ولكي يستكمل عماد الدين خطته وهي ايجاد جبهة اسلامية قوية كان لا بد من القضاء على الامارات الصغيرة شرقي الاناضول وضمها الى امارته، بالاضافة الى وجوب ايجاد قاعدة مهمة له في بلاد الشام. وكانت حلب هي الهدف الاكبر، وبذا يمكن له منها استكمال خطته في توحيد الجبهة العراقية الشامية، والوقوف بقوة وحزم امام الغطرسة الفرنجية. وكانت امارة الرها الفرنجية اكبر عائق امامه يمكن ان تجهض كل مخططاته، وكانت هذه الامارة تقف حاجزا منيعا في وجه اي اتصال او تقارب بين الموصل وحلب منذ تأسيسها في الحملة الفرنجية الاولى. لذا رأى عماد الدين مهادنة اميرها (جوسلين)، فعقد هدنة معه سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م، وكانت ظروف جوسلين تحتم عليه عقد مثل هذا الاتفاق مع قوة اسلامية ناشئة لا ضرورة لاستفزازها في هذه المرحلة. وهكذا عقد عماد الدين زنكي معاهدة الصلح هذه مع الرها «واستقرت قاعدة الصلح بينه وبين جوسلين وعلى ما اختاره»، (ابن الأثير،التاريخ الباهر، ص ٣٧). وبدأ

في تنفيذ مخططه والذي تم بموجبه توحيد شمال العراق وشمال الشام في امارة واحدة. ثم قام في سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م، بفتح حصن الاثارب من الفرنج وهي قلعة حصينة تقع بين حلب وانطاكية، ثم سار الى حصن حارم وهو حصن قوي بالقرب من انطاكية، الا ان اصحابه من الفرنج سألوه الصلح (وبذلوا له المناصفة على ولاية حارم، فاجابهم الى ذلك، لان عسكره كان قد كثر فيهم الجراحات والقتل فاراد ان يستريحوا ويريحوا فهادنهم وعاد عنهم) (ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص٤٢). ثم توج جهوده الجهادية في فتح الرها سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م، ويعتبر هذا الفتح بداية انطلاقة الحركة النهضوية الوحدوية العربية الاسلامية في العصور الوسطى. الا ان الحياة لم تطل بعماد الدين زنكي فقد قتل على يد احد مماليكه سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م ليتولى القيادة من بعده ابنه نور الدين محمود زنكي، الذي وقع على عاتقه مهمة استكمال المشروع النهضوي الوحدوي العربي الاسلامي، والوقوف في وجه الوجود الفرنجي في الارض العربية.

ومن الملاحظ ان الهم الشامي وقع على عاتق العراق بعد خروج مصر من المعركة وتحييدها، فقد وظف الزنكيون في الموصل وحلب كل قدراتهم لوحدة الصف العربي والاسلامي، وتمكن نور الدين محمود زنكي، من ضم دمشق الى سلطانه سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م، مكونا اول قوة عربية اسلامية تضم شمال العراق وشرق الاناضول وشمال الشام. اما منطقة الساحل الشامي واقليم فلسطين ومنطقة جنوب



شرقي الاردن فكانت تحت السيطرة الفرنجية. وبضم دمشق الى سلطانه، اصبحت الدولة النورية جارا عنيدا لمملكة بيت المقدس اللاتينية، وهو امر كانت تخشاه وتحسب حسابه ، وهو وجود قوة اسلامية منظمة تجاورها، ويعبر ابن الاثير عن مخاوف الفرنج من وقوع دمشق في ايدي النوريين قائلا: "وكان ابغض الاشياء الى الفرنج ان يملك نور الدين دمشق لانه يأخذ حصونهم ومعاقلهم وليست له، فكيف اذا اخذها وقوي بها؟" (التاريخ الباهر، ص١٠٧).

بقي نور الدين زنكي في حركة دائبة في مقارعة الوجود الفرنجي في بلاد الشام، وتمكن من اسر بعض قادتهم وقتل آخرين، نذكر منهم امير انطاكية رينو دي شاتيون الذي اسره سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، والامير جوسلين الثاني امير الرها سابقا وصاحب بعض القلاع الواقعة شمالي حلب. وقد اتبع نور الدين استراتيجية عقد التحالفات والهدن مع الفرنج (ابن الاثير، الباهر، ص١٠١،ص١٠٢،ص١٠٩،ص١٥٥)، حتى تتاح له الفرصة لانجاز بعض مهامه الداخلية، سواء من ناحية ترتيب البيت النوري، او الاستعداد لمعارك قادمة مع الفرنج،، فعل ذلك مع جوسلين الثاني قبل ان يأسره ومع امارة انطاكية، ففي سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م اصطدمت قواته بقوات انطاكية وتمكن من قتل اميرها البرنس بيموند (وكان عاتيا من عتاة الفرنج وذوي التقدم فيهم والملك)(ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص٩٩)، ثم تقدم نحو انطاكية فطلب الفرنج الصلح منه فصالحهم (ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٣٠٥).





وباعتلاء نور الدين السلطة تزداد الجبهة الشامية العراقية قوة وصلابة وشجاعة في وجه الفرنج، بعد ان انحلت عقدة الخوف التي سيطرت على الجميع. وكان فتح الرها هو المنطلق، وبذلك بدأ ميزان القوى يميل الى صالح المسلمين واهتزت الصورة التي كانت للفرنج من انهم قوة لا تقهر. الا ان هم نور الدين زنكي الاكبر كان منصبا على توحيد الجبهة العربية الاسلامية، والوقوف صفا واحدا امام هذا المد الاستعماري الاستيطاني الغربي في الارض العربية، وكان هم الشاميين والعراقيين حماية الديارالمصرية، التي كان يتنازعها صراع داخلي على السلطة استحكم بين الوزيرين شاور وضرغام، وقد مهد هذا الصراع لانهاء الدولة الفاطمية في مصر والتي كانت في طور النزع الاخير.

وهكذا فبينما كانت الجبهة الشامية تزداد قوة ومنعة كانت الجبهة المصرية في انحدار بسبب الخلافات الداخلية والصراع على السلطة، وقد وجد نور الدين زنكي ان الفرصة اصبحت سانحة لتوحيد مصر والشام معا، وبذا تصبح القوة الفرنجية بين فكي كماشة، الا ان الفرنج فطنوا الى مخطط نور الدين زنكي هذا، فعمد الملك عموري الاول ملك مملكة بيت المقدس الى تكوين حلف يضم الدولة البيزنطية والامبراطورية النورمانية في صقلية بالاضافة الى القوى الفرنجية في بلاد الشام، لاجهاض هذا المشروع الوحدوي النوري. وقدتمكن اسد الدين شيركوه قائد قوات نور الدين المتجهة الى مصر مع الوزير شاور من قتل ضرغام واعادة شاور الى السلطة. الا ان الاخير نقض



الاتفاق وراسل عموري الاول الذي قدم بقواته، ودارت عدة معارك بين القوات الشامية والفرنجية في مصر، انتهت بعقد اتفاق ينص على انسحاب الطرفين من مصر. الا ان شاور اعطى امتيازا للفرنج بان عقد معهم اتفاقا ودفع لهم اموالا كي يقدموا له المساعدة عند الحاجة، وتركوا شحنة من الجنود في القاهرة لحمايته.

شعر عموري الاول ان الظروف تسير الى غير صالح الفرنج في بلاد الشام، فان انضمام مصر الى الشام فيه هلاك له، لذا سارع بقواته لاحتلال مصر. الا ان نور الدين فوت عليه الفرصة للمرة الاخيرة، وتمكن اسد الدين شيركوه ومعه ابن اخيه الشاب صلاح الدين يوسف الايوبي من هزيمة القوات الفرنجية، وقتل شاور المتواطئ معهم، فعين اسد الدين شيركوه وزيرا للخليفة الفاطمي العاضد، الا ان اسد الدين توفي بعد شهرين من توليه الوزارة، فنصب العاضد صلاح الدين يوسف بن ايوب الوزارة مكان عمه، وذلك في ٢٥ جمادى الاخرة ٥٦٤هـ/٢٦آذار ١١٦٩م.

حدث فزع شديد لدى الدوائر الاوروبية من هذه الوحدة الناشئة، لذا سعوا الى احتلال مصر عن طريق البحر، فهاجمت القوات الفرنجية والبيزنطية المتحالفة معها ثغر دمياط في مستهل صفر ٥٦٥هـ/كانون اول ١١٦٩م، الا ان حملتهم فشلت بعد ان تصدى لها صلاح الدين بقوة وبسالة، وبذا تبددت آمال عموري الاول نهائيا في امتلاك مصر واجهاض وحدة مصر والشام، فكان ذلك ايذانا بانحسار التوسع الفرنجي في الديار الشامية، ونجاحا كبيرا

للمشروع النهضوي الوحدوي العربي الاسلامي.

انهى صلاح الدين الايوبي الخلافة الفاطمية في محرم ٥٦٧هـ/١٠ ايلول ١١٧١م، وبوفاة نور الدين محمود زنكي ٥٦٩هـ/١١٧٤م اصبح صلاح الدين الايوبي سيد الموقف في مصر والشام، ووقع على كاهله مهمة مواصلة السير في المشروع النهضوي الوحدوي الذي بدأه عماد الدين زنكي وابنه نور الدن محمود زنكي من بعده. وقد تمكن صلاح الدين من ضم دمشق وحلب الى سلطانه، الا ان الموصل بقيت خارج نطاق الوحدة المنشودة وكانت شوكة في حلق صلاح الدين وسوف يعمل جاهدا على ضمها للوحدة المنشودة.

كانت مملكة بيت المقدس تحتل كل الاراضي الفلسطينية، ولم يكن من سبيل للوصول الى مصر الا عن طريق منطقة شرقي الاردن. وعندما احتل الفرنج جنوب منطقة شرقي الاردن، واعادوا بناء قلاعها في الشوبك والكرك والعقبة، بالاضافة الى بنائهم قلاع وادي موسى (البتراء الحالية) وسلع والوعيرة وهرمز وطفيل، كان هدفهم قطع اي اتصال بين دمشق والقاهرة وبين بلاد الرافدين والشمال الافريقي، والتحكم في طريق الحاج المصري والمغربي والشامي معا. إذن فمملكة بيت المقدس كان الهدف الغربي الاوروبي من اقامتها هو فصل مشرق العالم العربي عن مغربه وتفويت اية فرصة للوحدة او حتى الى اللقاء. بالاضافة الى انهم هددوا المقدسات الاسلامية في مكة والمدينة واستحوذوا عن جزء من تجارة البحر الاحمر، وكان اسطولهم في البحر الاحمر يهدد سواحله الشمالية والجنوبية.



كان صلاح الدين يعي استراتيجية الفرنج التي تهدف الى تقسيم الجبهة العربية الاسلامية ومنع وحدتهم والقضاء على مصادرهم الاقتصادية، واضعاف قواتهم العسكرية كما وعى صلاح الدين الظروف الداخلية والخارجية وتعامل معها بذكاء وقدرة واقتدار. فأول عمل قام به هو استيلاؤه على العقبة سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م وبذا اصبح الطريق مهيأ وميسرا للقوات العسكرية والقوافل التجارية للتنقل بين القاهرة ودمشق، ثم اتبع ذلك بارسال قواته الى اليمن بقيادة اخيه شمس الدولة تورانشاه الذي تمكن من الاستيلاء عليها سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م، واصبحت ممتلكاته تضم بلاد الشام ومصر والحجاز واليمن، وهو بهذا قضى على التدخل الفرنجي في تجارة البحر الاحمر وسواحل الحجاز، ثم حول تجارة المشرق عبر عدن واليمن الى ميناء عيذاب جنوب مصر، بينما كانت السفن سابقا تسير عبر البحر الاحمر لتفرغ حمولتها اما في القلزم (السويس الحالي) او في أيلة (العقبة). وبذا اصبح هذا الشريان التجاري الدولي تحت سيطرته المباشرة فضمن صلاح الدين موردا اقتصاديا متميزا كي يرفد حركة نضاله وجهاده ضد الفرنج وليحقق مشروعه النهضوي الوحدوي المنشود.

وقد اتبع صلاح الدين استراتيجية عسكرية تجاه الفرنج، تتلخص باجهاد العدو وضربه في اي وقت واي مكان، كي يبقى العدو في حالة استنفار دائمة، وبذا يستطيع انهاكه وتحطيم ارادته القتالية، والتأثير النفسي عليه. وفي نفس الوقت كان لا يجد حرجا في عقد المعاهدات



والهدن مع عدوه، وكانت هذه المعاهدات والهدن تمليها الظروف التي كان يمر بها والتي تتطلبها المرحلة. فكان صلاح الدين مرنا في استراتيجيته فكانت متغيرة غير ثابتة، وقد حددت هذه المعاهدات والهدن بالسنوات والشهور والايام، وكثيرا ما كان الفرنج ينقضون الاتفاق، ليعودوا ويعقدوا اتفاقا جديدا وهكذا. ومن هنا تظهر لنا عبقرية صلاح الدين الدبلوماسية، فقد اتبع استراتيجية النفس الطويل، لاستنزاف العدو وانهاك قواه، كي يتمكن هو نفسه من فرض زمان ومكان المعركة الفاصلة عندما تتهيأ الظروف الداخلية والعالمية من حوله. وكانت مشكلة الوحدة هي الهم الاكبر، واخيرا تمكن من ضم الموصل الى دولته سنة ٥٨١هـ/١١٨٦م واصبح عسكرها يشكلون جزءا من جيشه فهو يقول :(وقد حصل لنا من صاحب الموصل ومن جميع من بالجزيرة وديار بكر الطاعة والسكة والخطبة، وعمت الهيبة والرهبة ،والعزائم الى الجهاد في سبيل الله نوازع، وقد زالت العوائق وارتفعت الموانع (ابو شامة ،الروضتين، ج٢ص٦٤).

فالبناء والاعداد للمشروع النهضوي الوحدوي استمر مدة سبعة عشر عاما، وهذا المشروع كي تكتب له مقومات النجاح، كان لا بد له من قوة عسكرية قوية تحمي مكتسباته وتحقق طموحاته، واقتصاد كثيف يضمن من موارده الكبيرة استمرار هذا المشروع، ثم وحدة الصف العربي الاسلامي والقضاء على كل التناقضات التي يمكن ان تسئ الى هذا المشروع او تجهضه من الداخل، بالاضافة الى القيادة الواعدة الواعية المخلصة لاهداف الامة وكرامتها وعزتها. ولم يغفل



صلاح الدين القوى العالمية من حوله، وقد تمثلت هذه بالقوتين الاعظم آنذاك وهما الدويلات الايطالية، والدولة البيزنطية. فالدويلات الايطالية استطاع ان يعقد معها اتفاقيات تجارية نظرا لارتباط مصالحها التجارية مع دولته. يقول صلاح الدين: "ومن هؤلاء الجنويين الذين يسربون الجيوش- البنادقة- البياشتة-الجنوية. كل هؤلاء تارة لا تطاق ضراوة ضرهم، ولا تطفأ شرارة شرهم، وتارة يجهزون سفارا يحتكمون على الاسلام في الاموال المجلوبة، وتقصر عنهم يد الحكام المرهوبة. وما منهم الان الا من يجلب الى بلدنا آلة قتالة وجهاده، ويتقرب الينا باهداء طرائف اعماله وبلاده، وكلهم قد قررت معه المواصفة وانتظمت معه المسالمة، على ما نريد ويكرهون، ونؤثر ولا يؤثرون" (القلقشندي، صبح الاعشى، ج١٣،ص٨٨).

فكانت الدولة الايوبية تسيطر على التجارة الدولية آنذاك القادمة من الشرق الاقصى عبر عدن والبحر الاحمر، فالبحر الاحمر اصبح في عهده بحيرة عربية اسلامية، وكان البحر الاحمر اهم شريان تجاري دولي في تلك الحقبة من الزمن. وكانت الدويلات الايطالية واوروبا لا تستطيع الاستغناء عن هذه التجارة القادمة عبر الموانئ المصرية والشامية. وهكذا فقد كانت معظم التجارة الدولية تحت السيطرة العربية الاسلامية المباشرة، وقد اعطى هذا لصلاح الدين امتيازا خاصا، وللمنطقة العربية اهمية كبيرة. اما القوة الثانية وهي الدولة البيزنطية فقد خطبت وده وارسلت الى صلاح الدين السفارات، بعدما شعرت بقوته المتزايدة، وادركت عبث التحالف مع مملكة بيت المقدس



اللاتينية. فقد كانت مصالحها تقضي باستمرار استقرار الامور بينها وبينه سيما وقد ارتبط بروابط ودية مع السلاجقة المصاقبين لحدودها، وكانوا يشكلون اكبر خطر عليها. فعقد البيزنطيون معاهدة نصت على المسالمة والعلاقات الحسنة بين الطرفين، ذكر صلاح الدين ذلك في احدى رسائله عن الامبراطور البيزنطي فقال: "فمنهم صاحب القسطنطينية، وهو الطاغية الاكبر، والجبار الاكفر، وصاحب المملكة التي اكلت على الدهر وشربت ... وجرت لنا معه غزوات بحرية ومناقلات ظاهرية وسرية، وكانت له في البلاد مطامع منها ان يجني خراجا، ومنها ان يملك منا فجاجا ... فاخذنا ولله الحمد بكظمه، واقمناه على قدمه، ولم نخرج من مصر الى ان وصلتنا رسله في جمعة واحدة في نوبتين بكتابين كل واحد منها يظهر فيه خفض الجناح والقاء السلاح، والانتقال من معاداة الى مهاداة، ومن مناضحة الى مناصحة" (صبح الاعشى،ج١٣،ص٨٧). فصلاح الدين ضمن تحييد اكبر قوتين يمكن ان تتدخلا الى جانب الفرنج في بلاد الشام، فهو بسياسته وكياسته حقق اهداف الامن القومي لدولته.

ولم يقف الفرنج في بلاد الشام مكتوفي الايدي امام هذا المشروع النهضوي الوحدوي الذي عمل صلاح الدين جاهدا لبنائه وارساء جذوره واصبحت الوحدة التي نشدها صلاح الدين حقيقة واقعة، تتمثل بوحدة مصر والشام وشمال العراق والحجاز واليمن والتي اطلقنا عليها (وحدة صلاح الدين). لذا عملوا على ضرب هذه الوحدة، وذلك بان قام ارناط (رينو دي شاتيون) امير بارونية الكرك وزعيم



الجبهة الفرنجية المتشددة (الصقور) بحملتين فرنجيتين عبر البحر الأحمر والحجاز وصولا الى مكة والمدينة وجنوب الجزيرة العربية (عدن واليمن). فكانت الاولى برية سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م، والثانية برية وبحرية معا سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م. وكان هدف هاتين الحملتين اللتين انطلقتا من بارونية الكرك والعقبة، الاستيلاء على المقدسات الاسلامية في الحجاز وهدم الكعبة ونبش قبر الرسول، واحتلال عدن واليمن وقطع المورد الاقتصادي الذي يرفد حركة الجهاد التي اعلنها صلاح الدين وتمويل جيوشه. وهم بذلك يتحدون المشاعر الاسلامية ويعملون على انهاك صلاح الدين اقتصاديا، الذي يعني بالتالي انهاكه عسكريا. وقد شجع ارناط على ذلك فرسان الداوية تلك الفرقة (او الحزب)، الاكثر تشددا وتزمتا وتطرفا دينيا، والاكثر حنقا على العرب والمسلمين. وهم بعملهم هذا يسعون جاهدين لضرب المشروع النهضوي الوحدوي، الذي اصبح حقيقة على الارض العربية، وقوة يحسب حسابها، وهذا ما كان يخشاه الفرنج والغرب الاوروبي، فهم يعملون دوما على ابقاء هذه الامة ممزقة متشاحنة متباغضة لان فيه بقاؤهم على الارض العربية.

قبل صلاح الدين التحدي وتمكن بقواته واسطوله من القضاء على هاتين الحملتين، وبذلك فوت على الفرنج فرصة تحقيق هدفهم. بالاضافة الى ان هذا التحدي الهب المشاعر العربية والاسلامية، واخذ الجميع يتطلعون ويطلبون من القائد السير بهم الى النصر. الا ان صلاح الدين ورغم استفزازات أرناط وغيره من قادة الفرنج لم يقبل



ان يدخل معهم في معركة فاصلة، الا بعد ان يحدد هو الزمان والمكان. وكانت حطين هي المعركة التي حدد مكانها وزمانها صلاح الدين، والتي انتصر فيها على اكبر جيش جمعه الفرنج وذلك سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م. وبعد حطين كان تحرير الساحل الفلسطيني، ثم حطت قواته حول مدينة القدس، وتمكن من تحريرها في ٢٧ رجب ٥٨٣هـ/١٢ تشرين اول ١١٨٧م، واعادها الى حظيرة الحكم العربي الاسلامي.

تطلعت القوى الاوروبية والفرنج في بلاد الشام الى المشروع النهضوي الوحدوي العربي الاسلامي بحذر شديد وكانت اوروبا دوما السباقة في انجاد القوى الفرنجية بعد كل عمل كبير يقوم في المنطقة العربية، او اي نصر يحرزه العرب ضد القوى الفرنجية الاستيطانية الاستعمارية. فتسارع الى نجدة الفرنج بارسال الحملات العسكرية حدث ذلك بعد تحريرالرها على يد عماد الدين زنكي وهاهي تسارع الى نجدتهم بعد معركة حطين وتحرير القدس الشريف بارسال حملة عسكرية جديدة ضمت اكبر ملوك اوروبا نذكر منهم ريتشارد قلب الاسد ملك بريطانيا، وفيليب اغسطس ملك فرنسا. وتمكنت هذه القوات بالاضافة الى قوات الفرنج المتواجدة في الساحل الشامي من احتلا ل مدينة عكا سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وبذلك اصبحت عكا مركز ثقل الوجود الفرنجي في الساحل الفلسطيني ، وعاصمة مملكة بيت المقدس اللاتينية. وهكذا عاد الصراع مجددا بين المسلمين والفرنج ، الذين ادهشهم بل اغاضهم هذا العمل الكبير الذي قام به صلاح





الدين وكان هدفهم الاول استعادة المدينة المقدسة من المسلمين، وضرب المشروع النهضوي الوحدوي العربي الاسلامي وتدميره وتمزيقه.

وبعد جولات بين الفرنج والمسلمين اتفق الطرفان بعد مشاورات ومراسلات ومفاوضات طويلة على عقد صلح بينهما عرف (بصلح الرملة) وذلك في ٢١ شعبان ٥٨٨هـ/الثاني من ايلول ١١٩٢م وقد حدد هذا الصلح بمدة ثلاث سنوات وثلاثة اشهر.

وقد نصت معاهدة الصلح على مايلي:

١- ان يستقر بيد الفرنج المنطقة الساحلية من صور الى يافا وعملها وقيسارية وعملها وحيفا وعكا وعملهما بالاضافة الى ارسوف.

٢- ان تكون البلاد الجبلية التي فيها القلاع بيد المسلمين.

٣- ان تكون اللد والرملة مناصفة بين الطرفين.

٤- ان تكون عسقلان خرابا.

٥- اشترط صلاح الدين دخول الاسماعيلية (الباطنية) في الصلح وفي المقابل اشترط الفرنج دخول انطاكية وطرابلس في الصلح.

٦- ان يكون للفرنج والحجاج النصارى حرية الحج الى بيت المقدس دون دفع اية ضريبة.

٧- واعلن صلاح الدين "ان الصلح قد تم، فمن شاء من بلادهم ان يدخل في بلادنا فليفعل، ومن شاء من بلادنا ان يدخل في بلادهم فليفعل" (المقزيزي، السلوك،ج١،ص١١٠).

اما عن ظروف واسباب صلح الرملة فتتذكر المصادر التاريخية ان ريتشارد قلب الاسد كان مضطرا للعودة الى بلاده بسبب احوالها



الداخلية اثناء فترة غيابه التي طالت، بالاضافة الى انه لم يستطع تحقيق هدفه في استعادة المدينة المقدسة، او تحقيق انتصار حاسم على صلاح الدين، بالاضافة الى سوء حالته الصحية. اما صلاح الدين فلم يكن راغبا في عقد هذا الصلح الذي الح في طلبه ريتشارد، فيذكر ابن شداد: (ان الصلح لم يكن من ايثاره، فانه قال لي في بعض محاوراته في الصلح: "اخاف ان اصالح وما ادري اي شئ يكون مني، فيقوى به هذا العدو..." (النوادر السلطانية، ص٣٩١). فصلاح الدين شخصيا لم يكن راغبا في عقد هذا الصلح الا أنه رأى المصلحة في الصلح لسأمة العسكر وتظاهرهم بالمخالفة. ويذكر سبط ابن الجوزي ان (الناس ملوا الحرب وعلتهم الديون)، (مراة الزمان ج٨،ص٢٦٨). ويقول ابن الاثير :"ان اخاه العادل وجماعة من الامراء اشاروا على صلاح الدين بالاجابة الى الصلح ، وعرفوه ما عند العسكر من الضجر والملل، وما قد هلك من اسلحتهم ودوابهم ونفذ من نفقاتهم " (الكامل،ج١٢،ص٨٦). ويصور لنا المقريزي الفرحة التي المت بالطرفين بعد عقد هذا الصلح بقوله: (كان يوم الصلح يوما مشهودا عم فيه الطائفتين الفرح والسرور لما نالهم من طول الحرب) (السلوك، ج١،ص١١٠).

عادت الحياة الطبيعية الى فلسطين بعد الصلح، فاقبل الحجاج النصارى على بيت المقدس آمنين، ودب النشاط التجاري في البلاد واختلط العسكران، وذهب جماعة من المسلمين الى يافا في طلب



التجـارة، ووصل خلق عظيم العـدد الى القـدس للحج، وفـتح لـهم السلطان الباب في ذلك ونفذ معهم الخفراء يحفظونهم حتى يردوهم الى يافا" (ابو شامة، الروضتين،ج٢ . ٢٩٣). كما سمح صلاح الدين بتعيين اثنين من رجال الدين الكاثوليك في كل من كنيسة القيامة، وكنيسة بيت لحم وكنيسة الناصرة، الى جانب ما كان في تلك الكنائس من رجال الدين الارثوذكس والسريان واليعاقبة.

وهكذا فإن صلح الرملة جاء بسبب ظروف عسكرية واقتصادية جعلت صلاح الدين يقبل به، مع علمه بان الموقف الفرنجي كان ضعيفا، فقد كانت تقديرات رجاله ومستشاريه بان مغادرة القوى العسكرية الفرنجية الى بلادهم هي في صالحهم، وان بقاءهم سيؤدي الى قدوم قوات اوروبية جديدة ستحدث الضرر بالمعسكر الاسلامي ، فابن الاثير يقول على لسان قادته ومستشاريه: "ان هذا الفرنجي انما طلب الصلح ليركب البحر ويعود الى بلاده فان تأخرت اجابته الى ان يجئ الشتاء وينقطع الركوب في البحر نحتاج للبقاء هنا سنة اخرى، وحينئذ يعظم الضرر على المسلمين". (الكامل،ج١٢ص٨٦).

عاد صلاح الدين الى دمشق وما لبث ان مرض فجأة، واشتدت عليه العلة، ففاضت روحه الى ربه صبيحة يوم الاربعاء ٢٧ صفر/٥٨٩هـ/٤ اذار ١١٩٣م، وكان عمره ستا وخمسين سنة واشهرا. وبموت صلاح الدين طويت صفحة من صفحات الخالدين الابطال في تاريخ امتنا الماجدة، انه انموذج حي للقائد الفذ الذي لا

تكرره الايام،انه اسطورة خالدة ستبقى في اذهان وضمير امتناالعربية والاسلامية، ابد الدهر لتعطي قادتها مثلا عظيما، ونموذجا فريدا رائدا يحتذون به ويتمثلونه فهو صانع المشروع النهضوي الوحدوي العربي الاسلامي الثاني.





دراسة تحليلية:

كانت المعاهدات والاتفاقات والهدن التي ابرمت بين المسلمين والفرنج، مؤقتة أملتها الظروف الاسلامية والفرنجية، فقد قام نور الدين محمود زنكي بعقد العديد منها مع فرنج بلاد الشام حسب الشروط التي يطلبها، حتى تعطية تلك الاتفاقات فرصة الاستعداد لمرحلة قادمة، ولكي يستكمل المشروع النهضوي الوحدوي الذي بدأه والده وتم في عهده فابن الاثير يقول: "ولما توفي كان قد اتسع ملكه جدا، فملك الموصل وديار الجزيرة، واطاعه اصحاب ديار بكر، وملك الشام، والديار المصرية، وامر بمسير جند مصر الى اليمن فملكها، وخطب له بالحرمين مكة والمدينة" (التاريخ الباهر، ص١٦٢). إلا ان هذه الوحدة تصدعت بعد وفاته، فشكل ذلك عبئا ثقيلا على صلاح الدين الذي اخذ على عاتقه مهمة اعادة اللحمة الى الصف العربي الاسلامي وتوحيد اقطاره وامصاره تحت راية واحدة، لانه آمن بان النصر الاكيد وتحرير المقدسات والارض الفلسطينية والساحل الشامي لن يكون الا بالوحدة. وهكذا كانت وحدة صلاح الدين العامل الرئيس في النصر الذي احرزه في حطين وتحرير القدس ومعظم الساحل الشامي.

ولم يكتمل هذا المشروع النهضوي الوحدوي الا بعد ان عمل صلاح الدين جاهدا على انهاء التمزق والتفتت الاقليمي ، فضم كل



الامـارات العـربيـة والاسـلامـيـة الى دولة الوحـدة، ووحـد القـيـادة السياسية.ثم عمل جاهدا على انهاء التفرقة المذهبية سواء في مصر او بلاد الشـام، فاغلق الجامع الازهر في القاهرة الذي كان يعتبر مركز اشعاع للمذهب الشيعي هناك، واستكثر من بناء المدارس في انحاء مصـر وبلاد الشام لتدريس المذاهب السنيـة. كما استطاع الحد من غلواء المتطرفين (البـاطنيـة او الحـشـاشـون) في بلاد الشـام، ومنع اتصالهم بالفرنج او قيامهم باعمال انتقامية من القادة المسلمين. وهو بذلك استطاع من ان يجعل دولته قادرة على حماية قدرتها الداخلية من التـهديدات الخارجية والمحافظة عليها ، وتوجيهـها لخيـر الامة والوطن. فصـلاح الدين وعى كل التناقضـات الاجتماعية والعقائدية التي كانت مستشرية في المجتمعات الاسلامية آنذاك فحد من غلوائها ووظفـها لخدمة القـضية الاولى وهـي تحرير الارض والمقدسات وبناء المشروع النهضـوي الوحدوي. وهو يوضح ذلك قـائلا :"واصلحنا ما في الشـام من عـقـائد مـعـتلة، وامـور مـخـتلّة واراء فـاسـدة، وامـراء متحاسدة، واطماع غالبة، وعقول غائبة... والمراد الان هو كل ما يقوي الدولة، ويؤكد الدعوة ويجمع الامة ويحفظ الالفة ويضمن الزلفة، ويفتح بقـية البـلاد ... وبالجملة فالشـام لا ينتظم امـره بمن فـيه، وفـتح بيت المقدس ليس له قرن يقوم به ويكفيه، والفرنج فـهم يعرفون منا خصـما لا يمل الشــر حـتى يملوا" (القلقـشندي، صـبح الاعـشى، ج١٣، ص٨٩، ٩٠).

وهكذا فقد عمل صلاح الدين على توحيد الجبهة الوطنية الداخلية



وتقويتها وتعميقها على اسس من العدالة والمساواة للجميع. فالمشروع النهضوي الوحدوي قام على التعددية والتسامح الديني. فقد جمعت دولته العناصرالقومية المختلفة، عربية، وكردية، وتركية، وتركمانية، فمعظمهم يدين بالاسلام، وحضارتهم حضارة عربية اسلامية، ولغتهم هي اللغة العربية ويدينون بالولاء لدولة الوحدة، يدافعون عنها، ويسعون الى تحريرها من الفرنج باذلين ارواحهم رخيصة في سبيلها. فقد تمكن صلاح الدين ومشروعه النهضوي الوحدوي من دمج هذه العناصر المختلفة في دولة واحدة، وكان الجميع صادقي الولاء والانتماء لهذه الدولة ولقائدها المخلص. لقد كانت بحق دولة التعددية العنصرية والدينية، هدفها واضح وهو تحريرالقدس وفلسطين، وهذا ما ضمن لها النجاح والنصر في تحرير الارض والوطن.

اما التسامح الديني، فهو سمة من سمات الاسلام السمحة منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، والدولة العربية فيما بعد. فها هو الرسول صلى الله عليه وسلم قد اعطى اليهود جميع حقوق المواطنة، وحرية قتال المشركين الى جانب المسلمين فقد جاء في الصحيفة: "وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وان يهود بني عوف امة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وانفسهم، الا من ظلم واثم فانه لا يوتغ (يهلك) الا نفسه واهل بيته" وجاء في موضع اخر "وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم" ويقول ايضا :"وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وان بينهم النصر على من حارب اهل هذه الصحيفة،



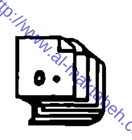
وان بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الاثم، وانه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وان النصر للمظلوم (ابن هشام، السيرة النبوية، ق١،ص٥٠٣ ، ٥٠٤). فقد اعطى الرسول عليه السلام اليهود في هذه الصحيفة التي نظم بها الاسس الأولى لدولته، حرية الاعتقاد والمساواة في المواطنة، والحماية والامن والعدل ومنع الظلم عنهم، كما منحهم حرية قتال المشركين الى جانب صفوف المسلمين . وعَقَد تحالفا معهم بان يحاربوا ويقاتلوا كل من يحارب رعايا دولة الرسول، وان يصدقوا النصيحة لبعضهم البعض، وان يعملوا بالاحسان ويتجنبوا الاثم والعدوان، واعطى مواليهم حقوق المواطنة تماما كاسيادهم. اذن فالمشروع النهضوي العربي الاسلامي الذي قام به الرسول العربي محمد صلى الله عليه وسلم، نادى بالتعددية العنصرية والتعددية الدينية. وأرسى اسس التسامح الديني الذي يعتبر مفخرة العقيدة الاسلامية والحضارة العربية الاسلامية.

فها هو ابو بكر الصديق يوصي قادة الفتوحات العربية الاسلامية لبلاد الشام، بان لا يقتلوا امرأة ولا ولدا ولا شيخا، ولا طفلا، واوصاهم بالرهبان ورجال الدين النصارى والمحافظة على اديرتهم وكنائسهم (الازدي، فتوح الشام، ص١٢). كما ان القادة العرب المسلمين صالحوا من صالحهم من اهالي الشام دون التعرض لهم ولاملاكهم مع اعطائهم حرية العبادة، فها هو شرحبيل بن حسنة فتح (طبرية صلحا بعد حصار ايام على ان أمن اهلها على انفسهم واموالهم واولادهم وكنائسهم ومنازلهم) (البلاذري، فتوح البلدان،



ص١٢٣). وها هو موقف الخليفة عمر بن الخطاب من اهالي الشام النصارى ، فعندما اختلف القادة في مصير الفلاحين ، ارسلوا اليه رأيه ، فرد عليهم بان يبقوهم في ارضهم ، وان توخذ الجزية منهم ، لانهم اصحاب الارض وعمارها، وهم اعلم بها ، واقوى عليها من غيرهم (الازدي ، فتوح الشام ، ص١٤١ . ١٤٢) وجاء في اتفاقية الصلح التي عقدها الخليفة عمر بن الخطاب لاهل القدس مايلي: "هذا ما اعطى عبدالله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء من الامان، اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم ، ولا من شئ من اموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولايضار احد منهم". وجاء في وثيقة الصلح المعطاة لاهل اللد ومن دخل معهم من اهل فلسطين أجمعين :"اعطام امانا لانفسهم واموالهم ولكنائسهم وصليبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم ، انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا مللها ولا يكرهون على دينهم" (الطبري،تاريخ الطبري، ج٣ص٦٠٩).

وهكذا فان التعددية العرقية (العنصرية) والتعددية الدينية والتسامح الديني من ثوابت دولة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، وبقيت كذلك في كل العصور الاسلامية المختلفة راشدية، واموية، وعباسية. الا ان التعددية العنصرية (القومية) كان لها سلبيات في الدولة العربية الاسلامية، فحدث ما عرف (بالشعوبية)، وصار هناك صراع بين الفرس والعرب والترك. وكان للعنصرالفارسي



ثم التركي تأثيرهما الكبير على السلطتين السياسية والعسكرية في الدولة العباسية، واصبحت (الخلافة العباسية) مجرد لقب فقط دونما نفوذ . ثم كان للصراع المذهبي بين الخلافتين العباسية السنية في بغداد والخلافة الفاطمية الشيعية في القاهرة اثره في ان يطلب القائم بامر الله الخليفة العباسي من السلاجقة بقيادة طغرلبك القدوم الى بغداد. فدخلت قواته بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، مبتدئة ما عرف بالعصر السلجوقي، ومنهيا النفوذ العربي السياسي والعسكري في الدولة العباسة، فابن خلدون يقول :"لما كانت عصبية العرب مستفحلة وشوكتهم قائمة مرهفة، ويدهم ويد سلطانهم في الامر جميعا، ومرماهم الى العز والمجد واحد، وكانوا كاسنان المشط، لتزاحم الانساب وغضاضة الدين، حتى اذا ارهف الملك حده، ونهج الى الاستبداد طريقه، واحتاج السلطان في القيام بامره الى الاستظهار على المنازعين فيه من قومه بالعصبية المدافعة دونه" (تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ج٥ص٤٣٩)، عندئذ اضطر الخلفاء العباسيون من اصطناع البطانة من موالي وترك وروم وبربر، وصاروا قوة لهم حتى ان المعتصم بنى لهم مدينة سامراء، واصبحوا جل جيش الخلافة ورتب منهم القادة العسكريين، "فلم يزل هذا دأب الخلفاء في اصطناعهم، ودعامة سرير الملك بعمدهم، وتمهيد الخلافة بمقاماتهم حتى سموا في درج الملك، وطمحت ابصارهم الى الاستبداد، فتغلبوا على الدولة وحجروا على الخلفاء وقعدوا بدست الملك ، ومدرج النهي والامر، واضافوا اسم السلطان الى مراتبهم"



(تاريخ ابن خلدون ج٥،ص٤٤٠). ويذكر ابن خلدون ان الموالي تغلبوا على الدولة واستبدوا فيها "ونهج السلف منهم في ذلك السبيل للخلف، واقتدى الاخر بالاول، فكانت لهم دول في الاسلام متعددة، تعقب غالبا دولة اهل العصبية وشوكة النسب، كمثل دولة بني سامان وراء النهر، وبني سبكتكين بعدهم، وبني طولون بمصر، وبني طغج. وما كان بعد الدولة السلجوقية من دولتهم مثل :بني خوارزم شاه بما وراء النهر، وبني طفرتكين بدمشق وبني أرتق بماردين، وبني زنكي بالموصل والشام". (تاريخ ابن خلدون ج٥. ٤٤٠. ٤٤١).

وهكذا فان ابن خلدون يرى ان النفوذ العربي في الدولة العربية الاسلامية في المشرق العربي الاسلامي، انتهى منذ منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) فتسلم الاتراك السلاجقة السلطة في العراق والشام، وتسلمها من بعدهم اولئك الذين ربوا في كنفهم، وتحت رعايتهم، كالزنكيين والايوبيين، ثم المماليك. ويعلق ابن خلدون على ذلك قائلا: "وانقبضت العرب راجعة الى الحجاز مسلوبة الملك كأن لم يكن لهم فيه نصيب). (تاريخ ابن خلدون، ط١٩٨١، دار الكتاب اللبناني، مجلد ١٤، ص١١٩٢). إذن فالعرب كانوا حريصين على التعددية العرقية والمذهبية والدينية في نطاق الدولة الواحدة، الا ان دخول العناصر الاخرى في جسم الدولة العربية الاسلامية، وخصوصا في العصر العباسي، ادى الى صراع هذه العناصر وتسلط الفرس ثم الترك على السلطتين السياسية والعسكرية، واقصاء العنصر العربي عن السلطتين السياسية والعسكرية، وفيما بعد عن



السلطة الادارية. واصبح اهالى العراق والشام ومصر العرب اقنانا للارض وعبيدا للمقطع، بعد ان طبق السلاجقة والايوبيون النظام الاقطاعي العسكري في العراق ومصر والشام وامتد طيلة العصور التالية.

ومن المقومات الاخرى الهامة للمشروع النهضوي الوحدوي الذي اكد عليه صلاح الدين، هو بناءاقتصاد قوي كثيف ومتين. ومن المعروف ان شبكة المواصلات القديمة التي تربط اوروبا بالهند والصين كانت تسلك ثلاث طرق رئيسة: الأولى برية، واطلق عليها طريق الحرير تسير من اواسط اسيا حتى بخارى ومن ثم الى البحر الاسود وموانئه، الى ان تصل الى القسطنطينية ومن ثم الى الموانئ الاوروبية ومدنها. ومن هذه الطريق كان يتجه فرع في بعض الاحيان الى بغداد وحلب الى موانىء البحر المتوسط وكانت هذه الطريق (طريق الحرير) تخضع للظروف السياسية والحربية التي تسود المناطق التي تعبر منها، وفي احيان كانت تتوقف نهائيا كما حدث في فترة الحروب الفرنجية وزحف التتار من الصين باتجاه الغرب.

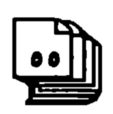
أما الطريق الثانية فكانت تمرعبر الخليج العربي وهي من اقدم المسالك المعروفة للاتصال بالهند والصين في العصور الوسطى، وتنتهي هذه الطريق عند رأس الخليج حيث البصرة، ثم الى بغداد عبر شط العرب. ومن بغداد تتفرع الى فرعين الاول يتجه شمالا الى ديار بكر، اما الثانية فتتجه غربا الى دمشق ثم الى موانئ البحر المتوسط. وقد ازدهرت هذه الطريق ازدهارا عظيما في القرنين الثاني والثالث

الهجريين، ثم تعرضت فيما بعد الى التقلص بسبب الظروف الحربية في العراق الى ان توقفت نهائيا منذ الربع الاول من القرن السابع الهجري بسبب الهجمة التتارية المدمرة.

اما الطريق الثالثة، فهي طريق البحر الاحمر (طريق البخور) عبر عدن واليمن والحجاز ولها فرعان الاول الطريق البحري ينتهي الى السويس (القلزم) او أيلة (العقبة) شمالا، ومن ثم الى القاهرة ودمشق حيث موانئ البحر المتوسط ومنها الى اوروبا. والثاني الطريق الذي يتجه برا عبر تهامة عسير الى الحجاز حيث مكة ثم الى دمشق. وقد بقي هذا الطريق يخدم حركة التجارة الدولية دون انقطاع، ولما سيطر الفرنج على أيلة (العقبة) واصبح لهم اسطول يهدد البحر الاحمر وتجارته حول صلاح الدين هذه التجارة الي ميناء (عيذاب) جنوب مصر ومنها الى اسوان برا ثم الى القاهرة عبر نهر النيل. وقد فطن صلاح الدين بكياسته وحسن تدبيره الى أهمية البحر الأحمر وطريق البخور فجعل من البحر الاحمر بحيرة اسلامية وانهى الوجود الفرنجي منه باحتلاله أيلة (العقبة) سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م واليمن وعدن سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م، وبذلك ضمن موردا اقتصاديا هاما يرفد حركة نضاله ويمول قواته العسكرية بالمال والسلاح وليتم بناء مشروعه النهضوي الوحدوي.

لقد كان العرب ولقرون عديدة هم وسطاء التجارة الدولية، وكانت سلع المشرق مطلوبة في اوروبا،ولما كان اقتصاد الدويلات الايطالية يقوم على التجارة المشرقية، ولا تستطيع الاستغناء عنها، لذا كان لا بد

لها من علاقات جيدة مع صلاح الدين كي يضمنوا وصول هذه السلع اليهم. وكان هو نفسه بحاجة الى بيع هذه السلع الى اوروبا كي يضمن موردا اقتصاديا مستمرا لدولته. ومن هنا فقد (حيّد) الطرفان التجارة الدولية والتبادل التجاري بين المسلمين والفرنج في الشام واوروبا معا. ويعبر ابن جبير الرحالة الاندلسي عن ذلك عند زيارته لبلاد الشام في عهد صلاح الدين فهو يقول في سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م :"ومن اعجب ما يحدّث به ان نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى، وربما يلتقي الجمعان ويقع المصاف بينهم ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم. شاهدنا في هذا الوقت الذي هو شهر جمادى الاولى، من ذلك خروج صلاح الدين بجميع عساكر المسلمين لمنازلة حصن الكرك وهو من اعظم حصون النصارى، وهو المعترض في طريق الحجاز والمانع لسبيل المسلمين على البر، ويذكر انه ينتهي الى اربع مئة قرية، فنازله السلطان وضيق عليه وطال حصاره). ويقول كذلك: «واختلاف القوافل من مصر الى دمشق على بلاد الفرنج غير منقطع، واختلاف المسلمين من دمشق الى عكة كذلك. وتجار النصارى ايضا لا يمنع احد منهم ولا يعترض، وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم، وهي من الامنة على غاية،وتجار النصارى ايضا يؤدون في بلاد المسلمين على سلعهم، **والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الاحوال، واهل الحرب مشتغلون بحربهم، والناس في عافية والدنيا لمن غلب**). (ابن جبير، الرحلة، دار مكتبة الهلال بيروت، ١٩٨١، ص٢٣٤ . ٢٣٥). فابن جبير



قدم وصفا دقيقا وصورة صادقة عن حرية حركة الافراد والمسافرين والتجار بين مدن الساحل الفلسطيني التي يسيطر عليها الفرنج والمدن الاسلامية الاخرى في الداخل كدمشق ، وغيرها وكان الاعتدال هو رائدهم. وفي نفس الوقت كانت القوات العسكرية الاسلامية تقوم بواجبها لتحرير الارض والمقدسات. وكانت معظم المنتجات الشامية والمصرية، بالاضافة الي السلع الشرقية تصدر الى عكة وغيرها، وكانت السلع الأوروبية تصدر الى المناطق العربية عبرالموانئ المصرية والشامية بحرية واعتدال ايضا ، لحاجة الطرفين لهذا المورد الاقتصادي الهام ، ويتقاضى الطرفان الرسوم على حركة التنقل والتجارة بينهما.

ومن مقومات المشروع النهضوي الوحدوي الصلاحي كذلك، بناء الجيش القوي، فقد استطاع صلاح الدين بناء هذا الجيش من عناصر مختلفة عراقية، وشامية، ومصرية، ومن ديار بكر وآمد وسنجار (شرقي الاناضول)، أي ان هذا الجيش كان متعدد الاجناس (عرب واتراك واكراد وتركمان وروم ومماليك). ثم قام صلاح الدين بحشد قواته من جميع انحاء دولته اكثر من مرة كي يتعرفوا على طبيعة الارض التي سيحاربون عليها ولكي تكون فرصة لتتعرف هذه الاجناس على بعضها ليكون لديها القدرة على التعاون عند المعركة الفاصلة ، فبهذا الجيش القوي تمكن صلاح الدين من توحيد الجبهة الداخلية وبناء الوحدة الوطنية التي لا بد منها عند القيام بأي عمل كبير يهم الامة ومصالحها. وهكذا فان جيش صلاح الدين قام على



اساس التعددية القومية، وكانت خطوة صلاح الدين ناجحة لان الاهداف كانت واضحة اولاها تحرير المدينة المقدسة والارض العربية الاسلامية من الاحتلال الفرنجي الاستعماري الاستيطاني.

ولم يتجاهل صلاح الدين القوى الكبرى المحيطة التي يمكن ان تتدخل لصالح القوات الفرنجية في الشام ، فعقد معاهدات واتفاقات مع الدويلات الايطالية ومع الدولة البيزنطية، وفرض في تلك المعاهدات مايريده هو لا مايريدونه هم، فهو القوي وهم الأضعف. وبذا ضمن تحييد اكبر قوتين محيطتين ، وهذا العمل هو دعم للمشروع النهضوي الوحدوي الذي به تم تطهير الارض وتحرير القدس.

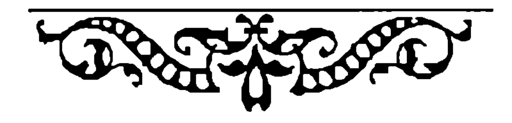
اما اهم مقوم لمشروع صلاح الدين النهضوي الوحدوي، فكان (الوحدة)، وحدة العراق والشام والجزيرة وشرق الاناضول ومصر واليمن والحجاز ، وقد قامت هذه الوحدةعلى اسسس قوية، واهداف مشتركة عظيمة، وكانت هذه الوحدة تعددية من حيث الاصول (الاجناس) او العقيدة (الاديان). كان التسامح الديني رائدها فمورست الشعائر الدينية بحرية كاملة ، وتمتع النصارى واليهود بحقوقهم المدنية والسياسية والعلمية بحرية كاملة. لم يلاقوا عسفا ولا ظلما، بل تفيأوا بظلال دولة الوحدة هذه، بكل حرية ومساواة. أما العناصر الاخرى المتطرفة المتزمتة من المسلمين (الحشاشون) فقد تمكن صلاح الدين من اخضاعهم وكسر شوكتهم فدانوا له بالولاء. وبذلك ضمن السيطرة على هذه الفئة المتطرفة التي اساءت الى المشروع النهضوي الوحدوي، وكانت عنصر هدم فيه، وجعلت من

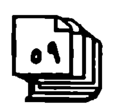


الزعماء المسلمين هدفا لاغتيالاتهم، حتى تضعف الجبهة الاسلامية، وتجهض المشروع النهضوي الوحدوي لصالح الفرنج والغرب الاوروبي.

وهكذا فكل المعاهدات والاتفاقات والهدن التي عقدها القادة المسلمون مع الفرنج: عماد الدين زنكي ونور الدين محمود زنكي، وصلاح الدين الايوبي، كانت محددة الاهداف، وهو اعطاء فرصة للقوات الاسلامية للاستعداد وزيادة امكاناتها القتالية، للقيام بجولة او جولات قادمة ضد الفرنج. يقول ابن خلدون عن صلح صلاح الدين مع طرابلس وكانت مدته ثمانية اشهر فقط (ليريح الناس ويستعدون) (ابن خلدون،ج٥،ص٣٧٦). ومعظم هذه الاتفاقات كانت بطلب من الفرنج انفسهم ولم يكن الزعماء المسلمون يتوانون عن عقدها، لما فيها من مصلحة لهم، اما لمحاربة امارات اخرى لم تعقد معهم المعاهدات، او للتسهيل على المسلمين وحرية تنقلهم وسفرهم بين مصر وبلاد الشام، ولتسهيل مهمة تنقل القوافل التجارية عبر المنطقة العربية، او لتوفير الامن والاطمئنان لقوافل الحجاج لاداء مناسك الحج دون خطر. اما الصلح الاخير وهو صلح الرملة، فقد حدد بثلاث سنوات، ووجد صلاح الدين ومستشاروه ان المصلحة في عقده بسبب سوء الاحوال الصحية التي الت بجنده، بالاضافة الى الارهاق والتعب الذي عانوه، فكانوا يرون انها فرصة للاستعداد لجولات ومعارك قادمة، فابن شداد يقول: "ورأى السلطان ذلك مصلحة لما غشي الناس من ضعف وقلة النفقات والشوق الى الاوطان ... فرأى ان يجمهم مدة حتى يستريحوا

وينسوا هذه الحالة التي صاروا اليها ويعمر البلاد، ويشحن القدس بما يقدر عليه من الاسلحة ويتفرغ لعمارته" (النوادر السلطانية، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٤م ص ٢٣٣). ويذكر ابن شداد كذلك ان صلاح الدين لم يكن راضيا عن هذا الصلح، ولكنه رأى المصلحة في الصلح لسأمة العسكر، ومظاهرتهم بالمخالفة، ويرى ابن شداد ان الصلح كان في مصلحة المسلمين، لان صلاح الدين توفي بعيد عقده. ولو اتفقت وفاته اثناء المعارك المحتدمة بين المسلمين والفرنج، لكان الاسلام على خطر فما كان الصلح الا توفيقا وسعادة". (النوادر السلطانية، ط١٩٦٤م، ص٢٣٥).





الفصل الثاني



معاهدات المسلمين والفرنج بعد صلح الرملة حتى قيام الدولة المملوكية


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين



معاهدات المسلمين والفرنج

بعد موت صلاح الدين

أصيب المشروع النهضوي الوحدوي الذي بناه صلاح الدين بنكسة بعد وفاته، وسبب ذلك ان بعض خلصائه اشاروا عليه قبل معركة حطين ان يقسم البلاد بين ابنائه، حتى يبقى الملك في عقبه، ولخشيتهم من أخيه العادل الذي وصف بالدهاء والدبلوماسية.

فقد استقر ابناء صلاح الدين في الحكم بعد وفاة والدهم على النحو التالي: الملك الافضل نور الدين علي بن صلاح الدين في دمشق والبلاد المنسوبة اليها وهي: الساحل وبيت المقدس، وصرخد، وبصرى وبانياس، وهونين ، وتبنين، وجميع الاعمال الى الداروم قرب غزة، أما ولده الملك العزيز عثمان فقد انفرد بملك مصر، أما ولده الظاهر غياث الدين غازي فقد استقر في ملك حلب واعمالها وهي: حارم وتل باشر و اعزاز، وبرزيه، ودربساك ومنبج وغير ذلك. هؤلاء الثلاثة هم ابناء صلاح الدين وكانت بيدهم أهم الممالك أنذاك: مصر ودمشق وحلب واعمالها. أما بقية البلاد فقد توزعها أفراد من البيت الايوبي نذكر منهم:

- **الملك العادل أبو بكر بن أيوب**،وكان بيده الكرك والشوبك مضافا اليها البلاد الشرقية قاطع الفرات وهي: حران، الرها، سميساط، الرقة، قلعة جعبر وميافارقين وديار بكر.



- **الملك العزيز ظهير الدين طغتكين بن أيوب**، وقد انفرد باليمن.
- **الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد شيركوه** فكان بيده حمص والرحبة وتدمر.
- **الملك الامجد بهرامشاه بن فرخشاه بن أيوب** وكانت بعلبك واعمالها من نصيبه.
- **الملك الظافر خضر بن السلطان صلاح الدين** وكانت بيده بصرى يتولاها من قبل اخيه الافضل صاحب دمشق. (ابن واصل ، مفرج الكروب، ج٣،ص٣٠٤).
- **الامير عزالدين اسامة الجبلي**، فكان بيده عجلون وكوكب الهواء.

وهكذا فان المشروع الوحدوي الصلاحي انهار بوفاة صلاح الدين، اذ لم يلبث ان دب النزاع والخلاف بين الاخوة الثلاثة الى درجةالصراع المسلح. وقد ادى ذلك الى اقصاء ابناء صلاح الدين عن السلطة واستقلال الملك العادل في الملك دونهم، وحصل ما كان يخشاه صلاح الدين وهو نقل السلطة من ابنائه الى أخيه العادل، وقد تم له ذلك بعد ان تقرر الصلح بينه وبين ابناء اخيه، وبذا اصبح سيد الموقف في مصر وبلاد الشام سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١م.

وفي خضم هذا الانهيار للوحدة والصراع على السلطة بين الايوبيين، انتهز الفرنج هذه الفرصة، وحصلوا على مكتسبات على الارض العربية من خلال المعاهدات والاتفاقات التي عقدوها مع الملوك الايوبيين:



الملك العادل بن أيوب :

١- ففي سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م، عقد الملك العادل صلحا مع الملك عموري الثاني ملك مملكة بيت المقدس في عكا ومدة هذا الصلح ثلاث سنين، وكان الفرنج قد استولوا على بيروت وجبيل، فبقيت بأيديهم واحتفظوا بها. أما العادل فقد احتفظ بمدينة يافا، وكان قد انتزعها من الفرنج، أما مدينة صيدا فقد قسمت بين الطرفين. وكانت ظروف العادل والصراع على السلطة بين القادة الايوبيين قد املت عليه القبول بالصلح بعد ان راسله الفرنج بذلك (وحلف امراء عسكره لهم، وانفذ الى مقدمي الفرنج من استحلفهم واستقرت الهدنة ثلاث سنين وامن الناس شرهم، ورجع الملك العادل الى دمشق وتفرقت الجند جميعها الى بلادها) (ابن واصل، ج٣،ص٧٨).

٢- وفي سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م، عقد العادل مع الفرنج صلحا، (وشرطوا أن تكون يافا لهم، واستنزلوه عن مناصفات اللد والرملة، فأجابهم على ذلك وعقد الهدنة بينهم وبينه)، (ابن واصل، ج٣،ص١٦٢). ولما تقرر امر الهدنة رحل العادل الى مصر بالعساكر المصرية، وتفرقت الجند والعساكر الشامية الى اماكنها. والظاهر ان سبب منح هذه الامتيازات للفرنج هو ظروف الخلافات في دولته بالاضافة الى ان حركة الفرنج كانت نشطة سواء من اوروبا، او من داخل الاراضي الفلسطينية بسبب قدوم جماعات فرنجية جديدة الى عكا وبعض الامارات الفرنجية الاخرى.



٣- وفي سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٧م. أبرم الملك العادل صلحا مع بوهيمند الرابع امير طرابلس وكان العادل قد حاصرها وضيق عليها وذلك بسبب غارات الفرنج المتعددة على بعض المدن الشامية كاللاذقية وجبيل وحمص. (فبعث اليه صاحب طرابلس يخضع له ويعث له مالا وهدايا، وثلاثمائة أسير، ورغب في الصلح، فصالحه) (ابن واصل، ج٣ص١٧٣)، وكان سبب قبوله كما يقول ابن واصل: ان العادل آنس من اصحابه فشلا وضجرا فعاد بعساكره الى حمص حيث راسله صاحب طرابلس فقبل بالصلح بسبب ظروف عسكره.

٤- وفي سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م. حدثت تحركات للقوات الفرنجية على الساحل الفلسطيني واجتمع في عكا اعداد كبيرة منهم (فخرج الملك العادل من دمشق وترددت بينهم الرسل، حتى تقررت بينهم الهدنة مدة معلومة) (ابن واصل، ج٣،ص٢٠١)

ونلاحظ ان خسارة المسلمين تكون اكثر عندما يكونون الطرف الاضعف فتملى عليهم الشروط وعندما يكونون الاقوى لا يخسرون بل يفرضون على عدوهم ما يريدونه هم لا ما يريده العدو.

الملك الكامل محمد بن العادل:

حاول الملك العادل اعادة بناء المشروع النهضوي الوحدوي، الا انه وقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه اخوه صلاح الدين، فبعد ان استتبت الامور له، قسم البلاد بين ابنائه الثلاثة، فاعطى الملك المعظم عيسى دمشق، والملك الكامل محمد مصر، والملك الاشرف موسى



المناطق الشرقية، وسيترتب على هذا التقسيم انهيار المشروع النهضوي الوحدوي ومن ثم انهاء الدولة الايوبية وقيام دولة جديدة هي الدولة المملوكية.

ومنذ سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م تجددت اطماع الغرب الاوروبي في السيطرة على المنطقة العربية واستعادة البيت المقدس، وانهاء المشروع النهضوي الوحدوي. وقد عرف الاوربيون القيمة الاستراتيجية للديار المصرية، باعتبارها مفتاح كل مشروع نهضوي وحدوي. فعندما تمكنوا من تحييد مصر في الحملة الفرنجية الاولى حققوا اطماعهم في احتلال الساحل الشامي والمدينة المقدسة. كما وعوا تماما اهمية المشروع النهضوي الوحدوي الصلاحي والذي كان من نتائجه انتصار المسلمين في حطين ٥٨٣هـ/١١٨٧م ثم تحرير البيت المقدس والساحل الفلسطيني كله، ومنطقة جنوب شرقي الاردن (الكرك والشوبك). وقد ادرك عموري الاول ملك مملكة بيت المقدس اهمية مصر الاستراتيجية والعسكرية والاقتصادية، ومن هنا حاول احتلال مصر ولكن نور الدين زنكي وقائده أسد الدين شيركوه فوتا عليه هذه الفرصة. إلا ان الفرنج في بلاد الشام واوروبا لم ينسوا ذلك وكانوا يؤمنون بان احتلال القدس والسيطرة عليها يكون عن طريق القاهرة، فاذا احتلت القاهرة سقطت القدس تلقائيا بايديهم، وهكذا وبعد ان تجمعت الجموع الفرنجية في عكا ابحرت باتجاه مصر وحطت قواتها على دمياط سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م. وقد ادرك مؤرخونا استراتيجية الفرنج هذه فابن واصل يقول :"فاشار عقلاؤهم

بقصد الديار المصرية اولا، وقالوا :ان الملك الناصر صلاح الدين انما استولى على الممالك، واخرج القدس والساحل من ايدي الفرنج بملكه ديار مصر، وتقويته برجالها، فالمصلحة ان نقصد اولا مصر ونملكها، وحينئذ فلا يبقى لنا مانع عن اخذ القدس وغيره من البلاد» (مفرج الكروب. ج٣ص٢٥٨).

وقد كان لوحدة الصف الايوبي اثره البعيد في فشل هذه الحملة فقد اجتمعت العساكر من جميع انحاء الممالك الايوبية للدفاع عن مصر. وكان الفرنج قد احتلوا دمياط وتقدموا في الدلتا (واشتد طمع الفرنج حينئذ في ملك الديار المصرية، وظنوا انهم يملكون بملكها البيت المقدس وسائر بلاد الشام (ابن واصل، مفرج الكروب،ج٤ ،ص٣٣).

ثم ترددت الرسل بين الفرنج والمسلمين في تقرير قواعد الصلح "وبذل لهم المسلمون البيت المقدس وعسقلان وطبرية واللاذقية وجبلة، وجميع ما فتحه السلطان الناصر صلاح الدين من الساحل ما عدا الكرك والشوبك ليسلموا دمياط ويرحلوا عن الديارالمصرية. فلم يرضوا بذلك وطلبوا ثلاثمائة الف دينار عوضا عن الاسوار التي خربت بالقدس ليعمروه بها. وقالوا: لا بد من تسليم الكرك والشوبك اليهم، فلم يتم بينهم امر" (ابن واصل،مفرج الكروب،ج٤ ،ص٩٥).

واخيرا اصطدم الفريقان في معركة حاسمة وعندما شعر الفرنج بالخطر راسلوا الملك الكامل واخويه المعظم عيسى والاشرف موسى، يطلبون منهم الامان لانفسهم ليسلموا اليهم دمياط من غير عوض

«فاجيبوا الى ما طلبوا» واحتفظ كل فريق بعدد من الرهائن من الفريق الاخر، حتى يتم تنفيذ بنود الصلح. وكانت رهائن الفرنج ملك عكا حنا دي برين، والكاردينال بلاجيوس مبعوث البابا في روما، ولويس دوق بافاريا، ويذكر ابن واصل بان عدد الرهائن الفرنج بلغوا عشرين ملكا (مفرج الكروب،ج٤،ص٩٨). وتم النصر للمسلمين سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م ورحلت القوات الفرنجية عن الديار المصرية، وتسلم الايوبيون مدينة دمياط وهكذا سلمت الديار المصرية من خطر الاحتلال الفرنجي، وفشلت مساعيهم بتحييد مصر واخراجها من المعركة، وعقدت الهدنة بين المسلمين والفرنج مدة معلومة (ابن واصل،ج٤،ص١٠٥) وكان للقوات الشامية الفضل في الدفاع عن الديار المصرية وهزيمة الفرنج.

ثم ما فتئ ان دب الخلاف والنزاع بين الاخوة الثلاثة بعد وفاة والدهم الملك العادل وانتصارهم في دمياط ، وخشي كل منهم على املاكه من اخيه فحدث ان تحالف المعظم عيسى صاحب دمشق مع جلال الدين خوارزم شاه صاحب بلاد خوارزم ومظفر الدين بن زين الدين كوكبوري صاحب إربل، فاضطر الملك الكامل محمد الاستنجاد بالفرنج فارسل الى فردريك الثاني امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة يطلب منه القدوم الى فلسطين ومساعدته ضد اخيه بعد ان ارسل اليه الرسل والسفارات المحملة بالهدايا الثمينة ووعده بان يعطيه القدس وما بيد المسلمين من الساحل

حطت قوات فردريك الثاني في عكا سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م وفي هذه السنة ايضا توفي الملك المعظم عيسى ملك دمشق وكانت القدس من



املاكه. إلا ان الفرنج تقدموا الى صيدا وكانت مناصفة بينهم وبين المسلمين وسورها خراب، فعمروها واستولوا عليها (ابن الاثير، الكامل،ج١٢،ص٤٧٨). وترددت الرسل بين فردريك والكامل واتفق الطرفان على الصلح سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ومدته عشر سنوات وتقرر بينهما مايلي:

١- تسليم البيت المقدس الى الفرنج على ان يبقى خرابا ولا يجدد سوره، وان لا يكون للفرنج شيء من ظاهره البتة.

٢- جميع القرى التابعة للقدس تبقى للمسلمين، ولا يدخلها الفرنج الا للزيارة فقط وللمسلمين وال عليها يكون مقامة (البيرة) من عمل القدس من شماليه.

٣- يكون الحرم الشريف بما حواه من الصخرة المقدسة والمسجد الاقصى بايدي المسلمين وشعار المسلمين فيه ظاهر، ولا يدخلها الفرنج الا للزيارة فقط، ويتولاه قوّام المسلمين.

٤- تكون الناصرة وبيت لحم واللد وتبنين، والقرى الممتدة على طول الطريق بين القدس وعكا بيد الفرنج وهي عشر ضياع.

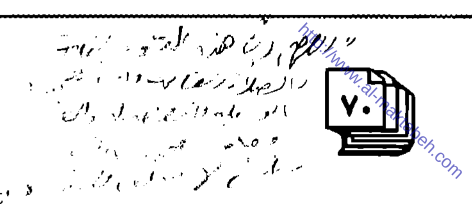
٥- تعهد فردريك بعدم القيام بأي هجوم على مصر او حتى المساعدة فيه، وان يسعى بنفوذه القضاء على أية محاولة فرنجية للهجوم على املاك الكامل.

ثم حلف السلطان الملك الكامل «على ما وقع الاتفاق عليه، وحلف الامبراطور، وعقدوا عقد الهدنة مدة معلومة، وانتظم بينهم الامر، وامن كل من الفريقين صاحبه» (ابن واصل،ج٤،ص٢٤٣). ويقول ابن الاثير:



«وتسلم الفرنج البيت المقدس، واستعظم المسلمون ذلك واكبروه، ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه» (الكامل،ج١٢ ص٤٨٣). أما ابن واصل فيقول: «وعظم ذلك على المسلمين، وحزنوا لخروج القدس من أيديهم وانكروا على الملك الكامل هذا الفعل، واستشنعوه فيه» (مفرج الكروب، ج٤،ص٢٤٣).

ولما تقررت قواعد الهدنة بين الكامل وفردريك الثاني، أقلع الامبراطور عائدا الى بلاده، بعد ان تسلم القدس سلما دون حرب، وهو ما لم يستطعه اعظم ملوك اوروبا قبله «واستمر مصافيا للملك الكامل، موادا له والمراسلة بينهما متصلة الى ان توفي الملك الكامل وملك ولده الملك العادل سيف الدين، فصافى الامبراطور الملك العادل ووادّه وراسله» (ابن واصل،مفرج الكروب،ج٤،ص٢٤٦). وقد استمرت العلاقات جيده بين صقلية ومصر حتى في عهد الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل الذي تولى السلطة بعد اخيه العادل، ويذكر ابن واصل بان الامبراطور فردريك ارسل سرا رسولا للصالح نجم الدين ايوب على هيئة تاجر يحذره من قيام حملة فرنجية جديدة باتجاه مصر يقودها لويس التاسع ملك فرنسا، وذكر ابن واصل بان الرسول كان (منفرد) ابن الامبراطور فردريك فهو يقول على لسانه: «وكان ذهابي الى مصر ورجوعي في زي تاجر، ولم يشعر احد باجتماعي بالملك الصالح خوفا من الفرنج ان يعلموا ممالأة الامبراطور للمسلمين عليهم» (مفرج الكروب، ج٤ ص٢٤٧).



الملك الصالح نجم الدين أيوب وابنه تورانشاه

تنادت اوروبا للقيام بحملة فرنجية جديدة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا، وجعل هدفها الديار المصرية، وتمكنت قواته في ٢٢ صفر ٦٤٧هـ/٦ حزيران ١٢٤٩م من احتلال مدينة دمياط الساحلية. وكان الملك الصالح نجم الدين ايوب مريضا فحمل على محفة من دمشق الى مصر كي يقوم بمهمة الدفاع عنها ، واقام بالمنصورة في مواجهة القوات الفرنجية. الا ان العلة اشتدت عليه فلم يلبث ان فاضت روحه في ١٤ شعبان ٦٤٧هـ/٢٢ تشرين ثاني ١٢٤٩م، فكتمت زوجه شجر الدر خبر وفاته، حتى لا يفت الخبر من عضد المسلمين. وارسلت تستدعي ابنه تورانشاه ليتسلم السلطنة بعد والده وكان يقيم في حصن كيفا شمالي حلب، فقدم الى مصر وتسلم مقاليد الامور في نهاية ذي القعدة ٦٤٧هـ/ شباط ١٢٥٠م، وتولى مهمة مدافعة الفرنج.

تمكنت القوات الايوبية من هزيمة الفرنج في المنصورة ووقع الملك لويس التاسع في الاسر ومعه اخواه كونت انجو وكونت بواتيه، بالاضافة الى اعداد من الفرنج قتلوا او وقعوا في الاسر. ووقع كل الفرنج المشاركين في هذه الحملة بين قتيل واسير. وبعد ايام من هزيمة لويس التاسع واسره قتل الامراء المماليك السلطان تورانشاه وذلك في ٢٨ محرم ٦٤٨هـ/ ٣ ايار ١٢٥٠م فتولت شجر الدر زوجة ابيه السلطنة، فواصلت المفاوضات مع لويس التاسع ملك فرنسا التي بدأها تورانشاه ولكنه لم يتفق على صيغتها النهائية معهم، واخيرا





انتهت هذه المفاوضات الى عقد معاهدة صلح بين الطرفين لمدة عشر سنوات وفقا للشروط التالية:

١- ان يسلم الملك الفرنسي مدينة دمياط الى المسلمين فدية عن نفسه، مبينا انه لا يصح ان تقدر فديته بمال، بسبب مكانته وشهرته.

٢- ان يدفع لويس التاسع مبلغ ثلاثمائة الف بيزنط، وهي دنانير ذهبية بيزنطية، فدية عن باقي الاسرى الفرنج وعوضا عما تسببوه من خسائر للمصريين.

٣- ان يطلق الملك لويس جميع اسرى المسلمين سواء اولئك الذين اسرهم اثناء هذه الحملة او اولئك الذين بأيدي الفرنج او المسلمين الذين وقعوا بالاسر منذ الصلح الذي وقع بين الامبراطور فردريك الثاني والملك الكامل.

٤-ان يعمل الفرنج على حفظ الامن مع اقرار السلام في جميع البلاد التي يحتلونها في فلسطين.

هذا فيما يتعلق بالفرنج، أما سلطان مصر فقد تعهد من جانبه بمراعاة مايلي:

١- اطلاق سراح جميع من وقع في قبضة المسلمين من الفرنج منذ وصولهم الى الشاطئ المصري.

٢- اطلاق سراح كل الاسرى الفرنج الذين وقعوا بأيدي المسلمين منذ الهدنة التي عقدت بين الامبراطور فردريك والكامل محمد.

٣- المحافظة على عتاد الفرج في دمياط حتى تتاح الفرصة لنقلها الى بلادهم.

٤- منح جميع الاسرى الفرنج المرضى الامان اثناء اقامتهم في دمياط،



على ان يسمح لهم بالمغادرة اما برا او بحرا.

واقسم الطرفان على ذلك فرحل الفرنج الى عكا، ودخلت القوات الايوبية دمياط في ٣ صفر ٦٤٨هـ/ ٧ ايار ١٢٥٠م.

ويلاحظ ان الفترة التي اعقبت وفاة صلاح الدين الايوبي كانت فترة حرجة وقلقة، واصبح المشروع النهضوي الوحدوي في خطر بل هوى واصابته كارثة شديدة فنتيجة للضعف الاسلامي والنزاع على السلطة والاطماع الشخصية قام الملك الكامل بتسليم المدينة المقدسة لفردريك الثاني دون حرب.وقد بادر بعض المؤرخين المعاصرين بالتماس العذر له، وقالوا انما سلمهم آدر خراب ومتى أراد فسوف يستردها منهم، كما شددوا على قضية التسامح الديني الذي وصف بها الايوبيون. اننا مع التسامح الديني، ولكننا لسنا معه عندمايتعلق الامر التفريط بالارض وتسليمها للمحتل، فالارض العربية الاسلامية ارض غالية على قلوبنا وافئدتنا لا يجوز التفريط بها لأي كان ومهما كانت الاسباب.

وفي خضم هذا الانحلال والتفكك الايوبي، تلوح بادرة خير وامل لهذه الامة فقد نقض الفرنج اتفاق الهدنة الذي عقدوه مع الكامل، وقام ثيوبالدالكمباني حاكم القدس بتجديد وعمارة اسوار القدس، وتحصين عسقلان والتعرض لبعض القوافل التجارية الاسلامية التي كانت في طريقها الى دمشق. مما اثار الملك الناصر داود صاحب الكرك وقرر الانتقام من الفرنج خاصة وان الهدنة المعقودة بين الفرنج



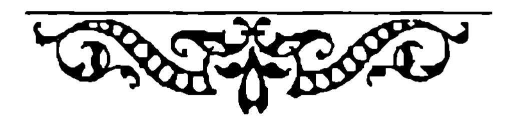
والايوبيين قد انتهى مفعولها. فقام بحشد قواته واجناده وسار بها من الكرك الى المدينة المقدسة. حاصر الناصر داود القدس ودك تحصيناتها بالمنجنيقات، فدمرت قلعتها واشعلت فيها النيران. وعندما شعر الفرنج بخطورة الموقف طلبوا الامان من الناصر داود على ان يسمح لهم بالرحيل عن القدس، فسمح لهم بذلك شرط ان لا يأخذوا معهم مالا ولا سلاحا. وحرر الناصر داود القدس في جمادى الاولى ٦٣٧هـ/كانون اول ١٢٣٩م، بعد حصار دام واحدا وعشرين يوما. وكتب الناصر الى الخليفة العباسي يبشره بهذا الفتح وانه قد جرى على يد عبد الديوان ويد جنده من امارة الكرك الايوبية (يوسف غوانمة امارة الكرك، ط١،ص٢٥٨).

وبعد وفاة الكامل سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م دب النزاع بين الملوك الايوبيين: الصالح اسماعيل، والناصر داود، والصالح نجم الدين ايوب، ونتيجة لهذا الصراع فرط القادة الايوبيون بالارض الفلسطينية والشامية، فاعطى الصالح اسماعيل صاحب دمشق سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م مدينة القدس الى الفرنج بالاضافة الى طبرية وعسقلان والشقيف. ولكن الفرنج في هذه المرة لم يطل مقامهم فيها الا شهورا قليلة فقد هربوا من المدينة عندما علموا بتقدم القوات الخوارزمية المتحالفين مع الصالح نجم الدين ايوب، فوقع انتقام الخوارزمية على نصارى القدس. (ابن واصل،ج٥ ص٢٣٧).

وهكذا فالفاطميون سلموا القدس في الحملة الفرنجية الاولى وحررها صلاح الدين الايوبي بعد حطين، ليعود الكامل محمد صاحب



مصر الى تسليمها لفردريك الثاني، ثم ليحررها للمرة الأخيرة الملك الناصر داود صاحب امارة الكرك الايوبية. فالظروف غير المستقرة التي مرت بالدولة الايوبية ادت الى تراجعها ومن ثم الى ضعفها وبعد ذلك الى انهيارها وانهائها بسهولة على يد المماليك.

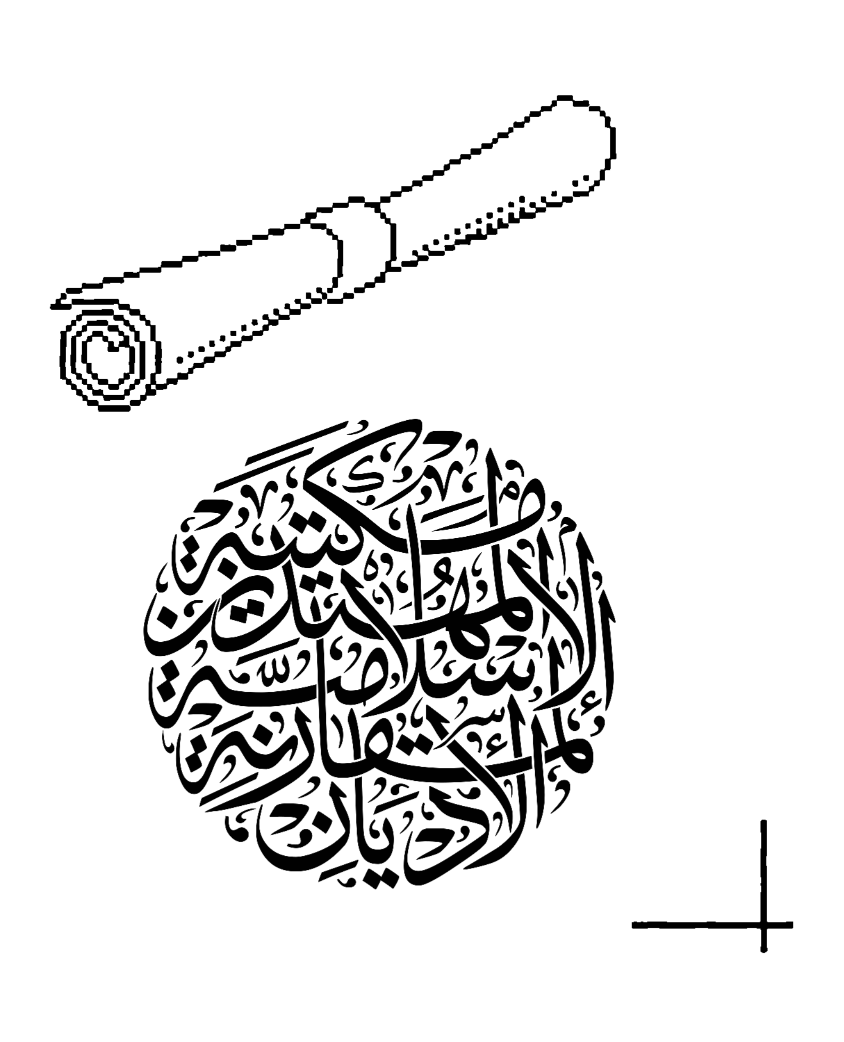




الفصل الثالث



معاهدات المسلمين والفرنج في العصر المملوكي حتى تحرير عكا


مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان



معاهدات المسلمين والفرنج

في عهد سلاطين المماليك

عز الدين أيبك:

رفض الايوبيون في الشام قيام دولة جديدة في مصر هي الدولة المملوكية بزعامة شجر الدر التي رفضها المصريون والشاميون معا، فاضطرت الى التنازل عن العرش لزوجها عزالدين ايبك. بالاضافة الى ان ايوبية الشام اجتمعوا خلف الملك الناصر يوسف وقرروا اسقاط هذه الدولة، اما لويس التاسع المقيم في عكا، فقد رأى بنفسه هذا الانقلاب الذي تم في المنصورة باغتيال اخر ملك ايوبي وهو تورانشاه، لذا رغب في الاستفادة من هذا النزاع بين مصر والشام. فعرض عليه الملك الناصر يوسف الوقوف معه ضد المماليك مقابل اعطائه بيت المقدس، الا ان لويس التاسع كان يرغب في مناصرة المماليك بسبب عروضهم المغرية. فترددت الرسل بين الفرنج والمماليك وتم الاتفاق على ان تتحرك القوات الفرنجية وتقيم في يافا، بينما يتقدم المماليك الى غزة وتم ذلك في شهر ربيع اول ٦٥٠هـ/منتصف ايار ١٢٥٢م، ليقفوا جميعا في مواجهة القوات الشامية. وفي المقابل تعهد المماليك باعطائهم بيت المقدس التي كانت انذاك تحت حكم الناصر يوسف صاحب دمشق، كما وتعهدوا باطلاق سراح باقي الاسرى الفرنج الموجودين في مصر، وعقدت الهدنة بين الطرفين في المحرم



٦٥٠هـ/اواخر آذار ١٢٥٢م. (جوزيف نسيم، العدوان الصليبي على مصر، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١م،ص٢٧٨). الا ان الناصر يوسف حال دون تحقيق هذه المعاهدة وذلك بان ارسل اربعة الاف فارس اقاموا في غزة، ومنعوا اي اتصال بين المماليك والفرنج. ومع ذلك فقد استفاد الفرنج من هذه المعاهدة لان المماليك اطلقوا سراح اسرى الفرنج الموجودين في مصر. وهكذا فشلت جهود الملك لويس التاسع في الاستفادة من الانشقاق الذي حدث بين الشام ومصر الا انه اضطر اخيرا العودة الى فرنسا، فغادر فلسطين في ربيع اول ٦٥٢هـ/٢٤ نيسان ١٢٥٤م مجروحا في كرامته وعزته وكبريائه بعد هزيمته في مصر وكان ذلك ايذانا باضمحلال الروح الفرنجية العسكرية وموتها فيما بعد في وقت كانت تكابد فيه طور النزع الاخير.

الظاهر بيبرس البندقداري:

تمكن الظاهر بيبرس من تسلم دست السلطنة في مصر بعد معركة عين جالوت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م وقتله السلطان قطز وبتولية الظاهر بيبرس السلطة، تبدأ مرحلة جديدة في المشروع النهضوي الوحدوي، بعدما اصيب هذا المشروع بنكسة كبيرة بعد موت صلاح الدين الايوبي. فقد تمكن الظاهر بيبرس من توحيد مصر وبلاد الشام وقسمها الى نيابات مستقلة وكانت كل نيابة (سلطنة مصغرة)، وهذا النظام يشبه النظام

الفدرالي في الوقت الحاضر. وربط دولته بشبكة هائلة من الاتصالات والمواصلات السطحية والطائرة، بحيث انه كان يعرف كل صغيرة وكبيرة تحدث داخل دولته. وبعد إن استتبت الأمور، ونشر الامن والاطمئنان في بلاده وجه همه لمقارعة الفرنج وتطهير الديار الشامية منهم. فكان يعقد الصلح مع طرف منهم دون الآخر، حتى تتاح له فرصة مهاجمة طرف، دون تدخل من الطرف الآخر ، وهي استراتيجية اتبعها الظاهر بيبرس في تعامله مع الفرنج. أما عن نشاطه العسكري فهو كمايلي:

٦٥٩هـ/١٢٦٠م

١- توجه الظاهر بيبرس في هذه السنة الى دمشق، ولما وصل الى العوجا حضر اليه صاحب يافا (سير سيرجوان ديكين)، فاكرمه وكتب اليه منشورا ببلاده ورد اليه بلده.

٢- وعندما وصل الى دمشق حضر رسول من عكا يسأل امانا للرسل القادمين الى بيبرس من انحاء مختلفة من الامارات والمدن الفرنجية في بلاد الشام. فكتب الظاهر بيبرس الى متولي بانياس بتمكينهم من المرور بطريقهم الى دمشق. فحضر اكابر الفرنج والتمسوا الصلح على ما كان الامر عليه الى آخر ايام الناصر صلاح الدين، واطلاق الاسرى. فتقرر الصلح بين الطرفين، وارسل بيبرس معهم الرسل لاخذ العهود عليهم.

٣- وفي هذه السنة ارسل الظاهر بيبرس المؤرخ ابن واصل رسولا



الى الامبراطور (منفرد) امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة في صقلية، يقول ابن واصل «واجتمعت به مرارا، ووجدته متميزا ومحبا للعلوم العقلية، يحفظ عشر مقالات من كتاب اوقليدس في الهندسة ... ووجدت اكثر اصحابه الذين يتولون اموره الخاصة به مسلمين» (مفرج الكروب،ج٤ ص٢٤٨). وقد ارسل بيبرس للامبراطور منفرد هدية ثمينة من جملتها زرافة فاعجبته اعجابا عظيما. وكانت مهمة هذه السفارة ان تطلب من منفرد عدم عقد اي اتفاق مع التتار الذين ارسلوا اليه سفارة لعقد تحالف معه ضد المماليك في مصر وبلاد الشام، وقد جهز الامبراطور بالمقابل هدية وسفارة الى بيبرس». (النويري،نهاية الادب،ج٣٠، ص٥٦).

٦٦٠هـ/١٢٦١م

حاصر بيبرس في هذه السنة مدينة صفد، فطلب اهلها الصلح والامان على انفسهم وطلبوا اليمين على ذلك، وحضرت رسلهم فاستحلفوه ولكنهم نقضوا اتفاق الصلح، فأمر بيبرس بقتلهم جميعا. ثم امر بيبرس بعمارة قلعة صفد وتحصينها ونقل الذخائر والاسلحة اليها وجعل منها نيابة مستقلة وولى عليها الامير عز الدين العلائي. (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧ ص١٣٩)

٦٦٥هـ/١٢٦٦م

توجه السلطان في هذه السنة الى صفد لعمارتها فأتت رسل الفرنج اليه «وتحدثوا معه في امر بلادهم، واجابوا الى ما قاله لهم من





مناصفة صيدا وهدم قلعة الشقيف» (النويري ج٣٠ص٢٩٥).

٦٦٥هـ/١٢٦٦م

وفي رمضان من هذه السنة وصلت رسل صور وسألوه استمرار الهدنة، فاجيبوا الى طلبهم على ان تكون هونين وتبنين للمسلمين، وقدموا له مبلغا من المال واطلقوا اسرى المسلمين الذين لديهم وكتبت الهدنة لمدة عشر سنين (النويري، ج٣٠ص٢٩٧).

وقبلت هدية صاحب بيروت بعد ان ردوا الاموال التي استولوا عليها لتجار المسلمين واستمرت الهدنة بينهم.

٦٦٥هـ/١٢٦٦م

طلب مقدم الاسبتار في حصن الاكراد والمرقب عقد هدنة بينهما، فاستقر ذلك «بشرط ان الفسخ يكون للسلطان، وحضرت رسلهم والتمسوا ان يحلف لهم السلطان. فقررت الهدنة لعشر سنين وعشرة شهور وعشرة ايام وعشر ساعات» (النويري، ج٣٠ص٢٩٧). واشترط بيبرس ايضا ابطال القطائع التي كانت تقدم للاسبتار وهي:

أ. بطلت القطائع عن بلاد الدعوة وهي ألف ومائتا دينار ومائة مُدى حنطة وشعيرا. (وهي قلاع الباطنية والحشاشين في سلسلة جبال النصيرية).

ب. وبطلت القطائع عن مملكة حماة وهي اربعة الاف دينار.

ج. وعن شيزر وفامية وهي في كل سنة ستمائة دينار مصرية.

د. وعلى عينتاب خمسمائة دينار صورية، والرسم المعروف بالمفادنة،





وهو عن كل فدان مكوكان من الغلة وستة دراهم.

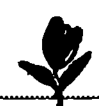
وسير السلطان الظاهر بيبرس لاستحلاف مقدم الاسبتار الامير فخرالدين المقري والقاضي شمس الدين بن قريش (النويري، ج٣٠،ص٢٩٨).

٦٦٦هـ/١٢٦٧م

وصل الى السلطان الظاهر بيبرس في هذه السنة بينما كان في دمشق رسل صاحب عكا هيو بن هنري بن بوهيمند يسألونه الصلح، فتقرر الحال بينه وبين السلطان واشتمل الصلح على ما يلي:

- عكا وبلادها وثلاثين ضيعة تكون للفرنج.
- ان تكون حيفا للفرنج ولها ثلاث ضياع، وبقية بلادها مناصفة بين الطرفين.
- ان يكون للقرين عشر قرى (وهو حصن قرب صفد كان المركز الرئيسي لفرسان التيوتون) اما باقي القرى فتكون للسلطان.
- تكون بلاد الكرمل مناصفة بين الطرفين.
- اما عثليث فتكون لها خمس قرى والباقي مناصفة بينهما.
- بلاد صيدا الوطأة للفرنج، أما الجبليات فللسلطان.

واتفق الطرفان على ان تدخل جزيرة قبرص في الهدنة، أما مدة الهدنة فكانت عشر سنين، وسير السلطان الى صاحب عكا هدية مكونة من عشرين نفرا من اسرى انطاكية. (العيني، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، تحقيق محمد محمد امين، ١٩٨٨،ص٣٢).





٦٩٩هـ/١٢٩٩م

عقد الظاهر بيبرس الصلح مع انطرطوس ومع مقدم بيت الاسبتار في حصن المرقب، واشترط عليهم ان تلغى جميع المناصفات التي كانت لهم على بلاد المسلمين. وان تكون بلاد المرقب ووجوه امواله مناصفة بين السلطان وبين بيت الاسبتار، على ان لا تجدد عمارة بالمرقب، وحلف لهم السلطان على ذلك وتوجه لتحليف المقدم المذكور بانطرطوس الامير فخر الدين المقري الحاجب. (النويري،ج٣٠،ص٣٢٨).

٦٩٩هـ/١٢٩٩م

عقد الصلح بين السلطان الظاهر بيبرس وطرابلس، فقد طلب البرنس صاحبها الصلح من بيبرس، وكتبت الهدنة لمدة عشر سنين (النويري،ج٣٠،ص٣٣٢).

٦٩٩هـ/١٢٩٩م

وفي هذه السنة حضرت رسل صاحب صور يطلبون الصلح، وحصل الاتفاق على ان يكون لهم من بلاد صور عشرة بلاد خاصة بهم، وللسلطان خمسة بلاد يختارها، اما بقية القرى فتكون مناصفة بين الطرفين. وحلف السلطان على ذلك، وجهز الرسل فحلفوا صاحب صور على ما تقرر. (النويري، ج٣٠ ص٣٣٣)

٦٧٠هـ/١٢٧١م

خرج السلطان الظاهر بيبرس في شهر شعبان من هذه السنة متوجها الى بلاد الشام ونزلت قواته بمرج قيسارية، فارسل صاحب



عكا رسله يطلب الصلح من بيبرس فتقررت الهدنة بينهما الى هذه السنة (النويري، ج٣٠،ص١٩١).

وقد تمكن الظاهر بيبرس رغم هذه الهدن والمعاهدات مع فرنج الشام من فتح عدة مدن وقلاع هامة في بلاد الشام نذكر منها: قيسارية، وعثليث، وارسوف، وحيفا، ويافا، وانطاكية، وصفد، وتبنين، وهونين، والشقيف، وصافيتا وحصن الاكراد وحصن عكا. وبذلك فقد تمكن من تقليم اظافر الفرنج واصبحت قوتهم في انهيار وتراجع مستمر امام ازدياد القوة المملوكية وتفوقها عدة وعددا.

٦٧٣هـ/١٢٧٤م

ترددت الرسل من عكا وقبرص وطرابلس يطلبون استمرار الصلح بينهم، وقد تقرر الصلح على ان يقدم الفرنج للظاهر بيبرس عشرين الف دينار صورية وعشرين اسيرا من المسلمين (النويري، ج٣٠،ص٢٤٤)

المنصور قلاوون الألفي:

٦٨٠هـ/١٢٨١م

وصلت الى السلطان قلاوون في هذه السنة رسل الفرنج يسألونه تقرير الهدنة والزيادة على الهدنة بين السلطان ومقدم الاسبتار، (والاسبتار والداوية والتيوتون هي فرق دينية عسكرية كانوا مستقلين لهم قادتهم وقلاعهم وجيوشهم الخاصة واقطاعاتهم. ومن اهم واجبات



هذه الفرق اعداد الفرسان الذين يلتزمون الزهد والتقشف وينذرون انفسهم للقتال، وكانوا اكثر طوائف الفرنج خطورة على المسلمين) وجميع الاخوة الاسبتارية بعكا، ومدتها عشر سنين وعشرة شهور وعشرة ايام وعشر ساعات، ونصت المعاهدة على ما يلي:

أ. يدخل في هذه الهدنة جميع بلاد السلطان وما اشتملت عليه من الاقاليم والممالك والقلاع والحصون والمدن والبلاد والقرى، والمزارع والاراضي.

ب- يدخل في هذه الهدنة جميع الموانئ والسواحل المصرية والشامية.

ج- نصت الهدنة على ان تشتمل على حركة وحرية التجارة بينهما برا وبحرا، بالاضافة الى حرية حركة المواصلات والاتصالات في السهل والجبل ليلا او نهارا.

د- يدخل في هذه الهدنة قلعة المرقب التي ما زالت بيد الاسبتارية، مضافا اليها الربض المرقبي بحقوقه وحدوده. (النويري، ج٣١،ص٧٣. ٧٤).

٦٨٠هـ/١٢٨١م

وتقررت الهدنة في هذه السنة بين السلطان قلاوون والامير (بيمند) صاحب طرابلس، لمدة عشر سنين كوامل متتاليات وجاء في هذه الاتفاقية مايلي:

١- يدخل في هذ الهدنة جميع بلاد السلطان المنصور قلاوون، القريب منها والبعيد، السهل والجبل الغور والنجد، قديمها ومستجدها، وكل المناطق المجاورة لطرابلس وهي: المملكة البعلبكية وجبالها وقراها الداخلية والجبلية وما هو من حقوق ذلك.



٢- يدخل فيها كذلك جميع الفتوحات المستجدة من مدن وقلاع وهي: حصن الاكراد أفليس، والقلعيات ، وصافيتا، ومعيار ، واطليعا، وحصن عكا، ومرقبة ومدينتها وبلادها ومناصفاتها وهي بلاد اللكمة، وجميع بلاد هذه الجهات التي ذكر ومناصفات المرقب التي دخلت في الصلح مع بيت الاسبتار وبلده ومدينته، وما هو محسوب منها ومعروف بها من حصون وقرى.

٣- ويدخل في هذه الهدنة المدن والبلاد التالية: بلاطنس وبلادها، وقرقص وبلادها، وجبلة، واللاذقية، وانطاكية، والسويدية، وحصن بغراس، وحصن ديركوش،وصهيون، وبرزيه وحصون الدعوة.

٤- وتضمنت الهدنة جميع الموانئ والسواحل المصرية والشامية والابراج المقامة على تلك السواحل.

٥- ويدخل في هذه الهدنة بلاد الابرنس صاحب طرابلس، وعلى طرابلس وما هو داخل فيها ، وانفة والبترون، وجبيل وبلاد ذلك ، وعرقا وبلادها المحددة في هذه الهدنة وعدتها احدى وعشرون بلدا. أما اقطاع الفارس (روجار) سيد القليعات والواقعة جنوبي طرابلس فتكون مناصفة.

٦- ونصت الاتفاقية على ان يستقر برج اللاذقية وميناؤها في استخراج الحقوق والجنايات والغلات وغيرها مناصفة، ويستقر مقامهم في اللاذقية على حكم شروط الهدنة الظاهرية، شريطة ان يكون على جسر ارتوسية ستة عشر نفرا من غلمان قلاوون وموظفيه وجنوده وهم: المشد والشاهد والكاتب، وثلاثة غلمان لهم،



وعشرة رجالة في خدمة المشد، بحيث تخصص لهم بيوت في الجسر للسكنى، ونصت الاتفاقية ان لا يحصل اي اذى من رجال السلطان لرعية امير طرابلس ومهمة هؤلاء :

أ. يمنعون ما يجب منعه من الممنوعات، ولا يمنعون ما يكون من عرقا من الغلات الصيفية والشتوية وغيرها لا يعارضهم المشد فيه، وما عدا ذلك مما يعبر من بلاد السلطان يؤخذ عليه الحقوق.

ب. لا يدخل الى طرابلس غلة محمية لاميرها ولا غيره الا ويؤخذ الموجب عليها.

٧- ونصت الهدنة على انه لا يجوز لامير طرابلس ان يستجد اي بناء خارج ما وقعت عليه الهدنة، واشترطت على السلطان ان لا يبني اي قلعة في البلاد الواقعة في الهدنة.

٨- ونصت الاتفاقية على حرية الملاحة لكلا الجانبين وان لا تعتدي سفنهما بعضهما على بعض.

٩- وجاء في هذه الهدنة ان هذا الاتفاق لا ينتقض بموت احدهما او بتغييره.

١٠- واشترطت الهدنة على ان لا يقوم امير طرابلس بالاتفاق مع اعداء قلاوون او مراسلتهم او مكاتبتهم ولا حتى مشافهة.

وبعد ان تقررت الحال على ذلك عادت الرسل وتوجه الامير فخر الدين اياز الحاجب ليحلّف الفرنج ومقدم الاسبتار، على ما انعقد عليه الصلح فحلّفهم (النويري، ج٣١،ص٧٥. ٧٧).

٦٨١هـ/١٢٨٢م



وفي هذه السنة استقرت الهدنة بين السلطان قلاوون والمقدم افرير كليام ديباجوك، مقدم بيت الفرسان الداوية بعكا والساحل الشامي، وداويّة انطرطوس، ومدة الهدنة عشر سنين اولها خامس المحرم من هذه السنة. (النويري، ج٣١،ص٩١).

٦٨٢هـ/١٢٨٢م

وفيها وصلت رسل عكا الى السلطان قلاوون بينما كان مقيما في دمشق، وطلبوا عقد هدنة بينهم، وكانت هذه الرسل لفرسان الاسبتارية وفرسان الداويّة، وتقررت الهدنة بينهم لمدة عشر سنين وعشرة شهور وعشرة ايام وعشر ساعات اولها خامس شهر ربيع الاول. (النويري،ج٣١،ص٩٩).

٦٨٤هـ/١٢٨٥م

نقض الفرسان الاسبتارية اصحاب حصن المرقب الهدنة المعقودة بينهم وبين السلطان قلاوون، ولم يتفقوا على شروطها، فتوجه السلطان قلاوون بعساكره وحاصر الحصن وشدد عليه الحصار فطلب الفرنج الامان فامنهم السلطان وسلموا الحصن اليه، فتسلمه في ١٧ ربيع الاول من هذه السنة وجهز اهله الى طرابلس.

٦٨٨هـ/١٢٨٩م

نقض اهالي طرابلس قواعد الصلح الذي عقد بينهم وبين السلطان قلاوون ونكثوا اسباب الهدنة فكتب الى نواب السلطنة بتجهيز العساكر والمعدات للتوجه الى طرابلس وبعد حصار شديد دام اربعة وثلاثين يوما تمكنت قواته من دخول طرابلس عنوة. ولما فتحت المدينة

فرت طائفة من الفرنج بحرا الى جزيرة النخلة (سنت نقولا)، بالقرب من ساحل طرابلس، الا ان جيوش قلاوون تمكنوا منهم وقتلوا واسروا اعدادا كبيرة منهم، وبلغ عدد الاسرى الفاً ومائتي اسير، وتم فتح طرابلس في الرابع من شهر ربيع الاخر من هذه السنة.

ووصل الى السلطان قلاوون وهو بظاهر طرابلس صاحب جبيل (بارثولوميو) فاقره السلطان على جبيل على سبيل الاقطاع، بعد ان أخذ منه معظم اموالها وتسلم السلطان كذلك (البترون) وجميع ما بتلك الناحية من الحصون والقلاع.

٦٨٩هـ/١٢٩٠م

وفيها ثار جماعة من الفرنج بعكا، فقتلوا جماعة من التجار العرب الذين كانوا فيها والذين قدموا اليها للتجارة بناء على الهدنة المعقودة بين السلطان وعكا، فعندما علم السلطان بذلك غضب غضبا شديدا وكانت هذه الحادثة من اكبر الاسباب في فتح عكا. الا ان الفرنج ارسلوا للسلطان يعتذرون اليه وان ما حدث انما كان من قبل مجموعات فرنجية ايطالية قدمت الى عكا حديثا،وان الامر تم دون علمهم وليس برضاهم. إلا ان هذا العذر لم يقبله السلطان، وبدأ يستعد لفتح عكا، وبينما كان بمسجد التبر خارج القاهرة مع قواته للتوجه الى عكا اشتدت عليه العلة فتوفي في السادس من شهر ذي القعدة من هذه السنة ، تاركا الامر لابنه الاشرف خليل.



الأشرف خليل بن قلاوون:

٦٩٠هـ/١٢٩١م

فتح عكا وتحرير بلاد الشام من الفرنج

كان السلطان قلاوون قد ندب العساكر من الديار المصرية وسائر النيابات في بلاد الشام ونواب القلاع والحصون بتجهيز العساكر والمعدات اللازمة للحصار والتوجه الى عكا. كما طلب ان تشترك كل قرية من قرى الشام بعدد من الرجال كل حسب قدرتها (ابن عبدالظاهر،تشريف الايام والعصور،ص١٧٧). وبعد ان تسلم الملك الاشرف السلطنة ونظم امور دولته شرع في اتمام الاستعدادات لفتح عكا، فارسل الامير سيف الدين الايغاني الى الحصون بالشام لاستنفار الاهالي للجهاد المقدس، كما طلب من جميع النواب هناك الحضور بجيوشهم للمشاركة في شرف الجهاد.

ظن أهل عكا أن متاعبهم قد انتهت بموت السلطان قلاوون، واملوا ان يكون السلطان الجديد اكثر ميلا للسلم من ابيه ، لذا سارعت حكومة عكا بارسال سفارة الى الاشرف خليل يهنئونه بالملك، ويطلبون منه ان يضع شروطا جديدة للسلام، كما طلب منه الرسل عقد معاهدة بينهما. ولكن الاشرف خليل لم يكن اقل حماسا من ابيه في ازالة الوجود الفرنجي من الارض العربية الاسلامية سيما وان هذا الوجود لم يعد يمثل اي قوة بعد سقوط العديد من المدن الفرنجية في يد بيبرس وقلاوون، بالاضافة الى انه اراد ان ينفذ نفس الخطة التي رسمها والده، لذا امر بالقبض على رسل الفرنج وزجهم في السجن



كرد حاسم على مطالبهم وتعبير واضح عن نواياه التالية.

اجتمعت القوات المملوكية المصرية والشامية تساندها مجموعات كبيرة من أهالي بلاد الشام ورجال القبائل العربية، وحطت جموع الجيوش الاسلامية حول عكا في ٣ ربيع الاخر ٦٩٠هـ/٥ نيسان ١٢٩١م، وقدرت القوات الاسلامية المحاصرة لعكا بنحو ٦٠ الف فارس و ١٦٠ الفا من المشاة. (يوسف غوانمة، التاريخ السياسي لشرقي الاردن، ط٢،ص١٢١)، ونصب عليها اثنين وتسعين منجنيقا.

وعندما شعر فرنج عكا بالخطر ارسلوا يطلبون القوات من جميع انحاء اوروبا وكالعادة سارعت اوروبا لنجدتها،فتوافدت القوات الى عكا من جنسيات مختلفة منهم، الانجليز والفرنسيون والقبارصة والبيازنة والبنادقة، وبلغت القوات الفرنجية هذه نحو الف فارس وما يتراوح بين اثني عشر واربعة عشر الفا من المشاة، يقودهم كبار قادة الفرنج منهم، وليم بوجيه رئيس الداوية، وحنا فيليه زعيم الاسبتارية، وكنراد فوشتفانجن رئيس فرسان التيوتون، بالاضافة الى هنري الثاني ملك قبرص ومملكة بيت المقدس اللاتينية واخوه عموري حاكم عكا.

وبدأ حصار المماليك لعكا في ٣ ربيع الثاني ٦٩٠هـ/ ٥ نيسان ١٢٩١م، وشدد المسلمون الحصار وفي صبيحة يوم الجمعة ١٧ جمادى الاولى ٦٩٠هـ/١٨ ايار ١٢٩١م كان الهجوم الكبير على عكا، ولم ترتفع شمس ذلك النهار حتى كانت السناجق الاسلامية قد علت اسوار عكا، وانكسر الفرنج كسرة شنيعة وانهزموا امام قوات المماليك



الظافرة، فهرب قسم منهم في البحر الى قبرص بينما هلك عدد كبير منهم لشدة الزحام تحت سنابك الخيل، وغرق آخرون اما الباقون فقتلوا او وقعوا في الاسر. واجتاحت القوات المملوكية مدينة عكا بعد حصار دام اربعة واربعين يوما واعيدت الى حظيرة الحكم العربي الاسلامي بعد غربة دامت مائة وثلاث سنين كاملة.

وقد ترتب على سقوط عكا انهيار المقاومة الفرنجية في الساحل الشامي، فبادروا باخلاء معاقلهم وولوا الادبار ناجيين بانفسهم واستولى السلطان الاشرف خليل في بقية الشهر على المدن التالية: صور وصيدا وحيفا وبيروت وعثليث وانطرسوس بغير قتال، فامر السلطان بهدمها جميعا فهدمت. (النويري ٣١ص١٩٩) وخلا الساحل من فارسهم والراجل، واصبح كل مقيم به هو راجل ، (بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية في الدولة التركية، ص ١٢٨).

وهكذا انتهى الوجود الفرنجي من بلاد الشام بعد احتلال دام مائتي عام ٤٩١هـ - ٦٩١هـ / ١٠٩٨ - ١٢٩١م، وتطهرت الارض العربية الشامية من الاحتلال الفرنجي الاستعماري الاستيطاني.







دراسة تحليلية

تمكن صلاح الدين الايوبي من انجاز المشروع النهضوي الوحدوي (وحدة صلاح الدين) وبعد ان اتم استعداداته من جميع النواحي الداخلية والخارجية، وقضى على الفتن والخلافات الطائفية والمذهبية، وبنى دولة قوية عسكريا واقتصاديا، توجه بكليته لمحاربة الفرنج، وحدد الزمان والمكان فكان النصر حليفه في حطين ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وحرر الساحل الفلسطيني وتوج فتوحاته بتحرير المدينة المقدسة. وقد لاحظنا ان استراتيجية اوروبا كانت تركز على عناصر ثلاثة: الاول تمزيق الامة العربية وزرع الفتن والبغضاء بين قادتها ومحالفة قسم منهم وبذل المساعدة والدعم له، كي يبقى الوطن العربي ممزقا مفتتا، لان اي وحدة كانت تشكل خطورة على وجوده وعلى مصالحه في المنطقة. أما العنصر الثاني الذي عمل الفرنج جاهدين على تكريسه وهو اخراج مصر من المعركة، فعندما خرجت من المعركة في الحملة الاولى ضاعت القدس وفلسطين، وعندما اعادها صلاح الدين الى الصف العربي الاسلامي كان النصر للمسلمين وتحرير القدس، ولما عجز الفرنج من احتلال القدس مباشرة كانت الاستراتيجية الفرنجية واوروبا تؤكد على ان احتلال القدس يكون عن طريق القاهرة، فاذا سقطت القاهرة بايديهم تسقط القدس والشام مباشرة. واخيرا فان العنصر الثالث كان تدمير الاقتصاد العربي الاسلامي لان الاقتصاد عنصر هام في رفد حركة النضال والجهاد والاعداد لمقاومة المحتل،



ومن هنا فان الفرنج وجهوا جل اهتمامهم لتدميرالاقتصاد العربي الاسلامي في مصر وبلاد الشام بقطع شريان التجارة الدولية عبر البحر الاحمر القادم من الشرق الاقصى. الا أن صلاح الدين ومن ثم المماليك قاموا على حماية هذا الاقتصاد، ولما كانت حاجة الطرفين لهذه التجارة، ولسلع الشرق والغرب معا ، عملوا على تحييد التجارة والتبادل التجاري بين الطرفين، فكانت القوافل التجارية والتجار العرب والمسلمون وتجار الفرنج يتنقلون بحرية تامة بين المدن الداخلية والساحلية عربية وافرنجية.

الا ان هذا المشروع النهضوي الوحدوي تعرض الى نكسة بعد موت صلاح الدين بعد ان قسم البلاد بين ابنائه، وقد دب الخلاف والصراع والاطماع الشخصية بينهم فاقتتلوا وكان ذلك مدعاة الى انهيار الجبهة العربية الاسلامية وضعفها امام الجهود الفرنجية والاوروبية المستمرة في اعادة السيطرة على المنطقة العربية والاماكن المقدسة فيها. وعندما حاول الملك العادل اعادة بناء المشروع النهضوي الوحدوي بادرت اوروبا الى اجهاضه بارسال الحملات الفرنجية، وتركزت في هذه الفترة على مصر باحتلال دمياط والسير عبر الدلتا الى القاهرة، الا أن اعادة بناء الصف الاسلامي افشل هذه المهمة امام التصميم العربي الاسلامي في الحفاظ على الارض العربية وفي مقدمتها القدس الشريف.

وتعرض المشروع النهضوي الوحدوي الى نكسة اخرى بعد وفاة الملك العادل فنشب الصراع والخلاف بين ابنائه وانتهزت اوروبا مرة



اخرى هذا الخلاف وعملت جاهدة للاستفادة من هذا الصراع الذي وصل الى حد العنف العسكري. ولكي يحافظ كل منهم على املاكه خوفا من اخيه بدأ كل يستنجد بالقوى الاجنبية فالمعظم عيسى تحالف مع الخوارزمية القادمين من الشرق، بينما ارسل الكامل محمد الى الامبراطور فردريك الثاني في صقلية يطلب منه العون والمساعدة ضد اخيه باذلا له مدينة القدس ان فعل ذلك. وهكذا ضاعت القدس مرة اخرى على يد الكامل محمد سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م نتيجة للخلاف والفرقة وانعدام الثقة بين الحكام المسلمين وانانيتهم، تماما كما حدث في الحملة الاولى عندما ضاعت القدس بعدما تخاذل وتواطأ الافضل ابن بدر الجمالي وزير الدولة الفاطمية مع الفرنج وعقد تحالفا معهم (تحالف العجز والتمزق) مما ادى الى احتلال القدس سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م. وقام الفرنج بابشع مجزرة في تاريخ البشرية، فقد قتلوا كل سكان المدينة المقدسة، لم يتركوا رجلا ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا الاوقتلوه ، حتى ان القدم كانت تغوص حتى الكاحل في دماء اهالي القدس داخل الحرم القدسي ولم يفرقوا بين مسلم او نصراني او يهودي وحدث ذلك في معظم المدن الساحلية الشامية، كانت هناك تصفية جسدية تعرض لها الانسان العربي من قبل القوات الاوروبية الغازية (يوسف غوانمة، دراسات في تاريخ الاردن وفلسطين، ص١٢٠).

وعندما حاول الصالح نجم الدين ايوب اعادة بناء المشروع النهضوي الوحدوي، وجهت اوروبا حملة فرنجية جديدة لافشال



مشروعه، الا ان صمود الجيش الايوبي بقواته الفتية المكونة من فئة المماليك، ادى الى هزيمة لويس التاسع ملك فرنسا قائد هذه الحملة ومن ثم طرده من مصر بعد ان احتل دمياط وتوجه الى القاهرة كي يحقق حلم اوروبا باحتلال مصر. فباحتلالها تسقط القدس وبلاد الشام، وهذا ما وعته واوركته اوروبا وسعت مرارا الى تحقيقه لافشال اي مشروع نهضوي وحدوي عربي اسلامي.

وفي فترة التمزق والضعف التي اصابت الدولة الايوبية، تقوم في مصر دولة جديدة هي الدولة المملوكية سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، وبقيام هذه الدولة تعرض المشروع النهضوي الوحدوي الى نكسة كبيرة. وفي خضم الصراع الدموي الذي نشب بين ايوبية الشام ومماليك مصر، تعرض العالم العربي الى غزو التتار على يد هولاكو وسقطت بغداد بعد تدميرها سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. ثم اتجهت القوات التتارية الى بلاد الشام، الا ان الدولة المملوكية الناشئة تمكنت من اثبات وجودها فانتصرت على التتار في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، وبذلك انهت المد التتاري فانحسر قاطع الفرات. الا ان هذا الخطر ظل يهدد حدود بلاد الشام الشمالية. كما عمل التتار جاهدين على عقد تحالف مع فرنج الشام وبعض الدول الاوروبية للقضاء على دولة المماليك واحتلال مصر وبلاد الشام الا ان مشروعهم هذا باء بالفشل ولم يحقق اهدافه.

اخذت الدولة المملوكية الناشئة على عاتقها بناء دولة قوية عسكريا واقتصاديا، وظهر السلطان بيبرس الباني للمشروع النهضوي



الوحدوي. ينظم امور الدولة الداخلية ، فقوى الاقتصاد وربط الدولة بشكبة هائلة من المواصلات والاتصالات، وضمن لدولته تجارة قوية واقتصادا حرا كثيفا. وحرر هذا الاقتصاد وحيّده تماما كما فعل صلاح الدين، لانه كان بحاجة الى مورد اقتصادي قوي يرفد حركة نضاله وجهاده ضد الفرنج. وكانت اوروبا نفسها بحاجة الى استمرار هذا المورد الاقتصادي لأن كثيرا من دول اوروبا كان اقتصادها قائما على التجارة مع المنطقة العربية، ونقل سلع مصر والشام والشرق الاقصى الى اوروبا، ونقل سلع اوروبا الى المنطقة العربية ومن ثم الى الشرق الاقصى. فالتنمية الاقتصادية والبشرية كانت هما وهدفا اساسيا في سياسة السلاطين المماليك الاقوياء. ثم قام الظاهر بيبرس بعد بناء الجبهة الداخلية وتقويتها، وعقد المعاهدات والاتفاقات مع الدول الاجنبية الاوروبية والدولة البيزنطية توجه الى المدن والقلاع والحصون الفرنجية يحررها الواحدة تلو الاخرى. ولم تتمكن اوروبا من نجدةالفرنج في بلاد الشام بسبب ظروفها آنذاك وضعف الحماس لنجدة الوجود الفرنجي في المنطقة العربية. لذا رأينا ان القوى الفرنجية بدات تعتمد على قواها الذاتية وصارت تطلب وتلتمس عقد الهدن والمعاهدات مع السلاطين المماليك بيبرس ثم قلاوون. وقد استجاب المماليك لمطالبهم، واستخدموا هذه الهدن لصالح حركة التحرير العربية الاسلامية. فقد اعطتهم تلك المعاهدات فرصة للراحة والاستعداد لمعارك تحريرية قادمة، بالاضافة الى ان تلك المعاهدات التي كانت تعقد مع اطراف بعينها دون الاخرى، اعطت



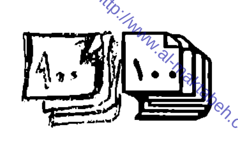
المماليك حرية الحركة في مهاجمة فريق دون ان يستطيع الاخر التدخل. وهكذا فقد كانت هذه الهدن والمعاهدات لصالح معركة التحرير وللمشروع النهضوي الوحدوي الذي نشده وبناه بيبرس ومن بعده السلطان قلاوون. فالملاحظ ان معظم هذه المعاهدات كان ينقضها الفرنج انفسهم، مما يعطي السلاطين المماليك الحق في مهاجمة الفرنج وتحريرالمدن والقلاع الشامية واعادتها الى حظيرة الحكم العربي الاسلامي.

ومن الجدير ذكره ان المشروع النهضوي الوحدوي الذي بناه صلاح الدين ومن ثم المماليك امتاز بالتسامح الديني، فقد تمتعت العناصر الاثنية بحرية كاملة في ممارسة طقوسها الدينية وحقوقها المدنية والسياسية والعسكرية، فكان هناك النصارى واليهود والدروز، والشيعة. وقام هذا المشروع النهضوي الوحدوي علي التعددية العنصرية ايضا فكان هناك العرب، والاتراك، والاكراد، والتركمان، والخوارزمية، والشهرزوية، والجركس، واقليات اخرى اوروبية قدمت على شكل رقيق ثم حازت مناصب عسكرية كبرى في الدولة. كل هذه العناصر عاشت في وئام داخل المشروع النهضوي الوحدوي مع بداية العصر الملوكي، وقبل العرب بتلك التعددية العنصرية والإثنية داخل الدولة العربية الاسلامية. الا ان الامر تغير منذ منتصف القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي فقد شعر العرب سكان البلاد الاصليون في مصر وبلاد الشام بالغبن والظلم نتيجة للتشريعات المملوكية والتسلط العنصري الاوحد على مقدرات الدولة، وانتزاع



الاراضي من اصحابها العرب وتوزيعها اقطاعات حربية على الامراء والقادة والاجناد. واصبح الاهالي العرب في مصر وبلاد الشام اقنانا للارض وعبيدا لهم فعم الفقر والجهل، وقاسى المواطنون من الظلم الاجتماعي الرهيب فمنعوا من الانخراط في سلك الجندية، ومن تسلم المناصب الادارية في الدولة، التي كانت حكرا على طبقة المماليك. فالحكم المملوكي كان حكما ارستقراطيا دكتاتوريا مستبدا، وهذا ما اثارالعرب فقاموا بالثورات او بمناصرة الثورات العديدة التي قامت في بلاد الشام ضد الدولة المملوكية من منطلق نزعة (جنسية في لغة ذلك العصر) اي نزعة قومية بالمفهوم العصري لهذاالمصطلح.

وهكذا ومن خلال استعراضنا للاحداث في المنطقة العربية، نرى ان العنصر العربي استكان وضعف داخل المشروع النهضوي الوحدوي الاسلامي، وقبل بذلك من منطلق ان الجماعة الاسلامية تعمل لمصلحة الارض والوطن وتحريره من القوى الفرنجية والسيطرة الاوروبية الاستعمارية الاستيطانية. الا ان الانسان العربي والشخصية العربية عوملت معاملة غير عادلة من قبل العناصر غير العربية التي حكمته: سلجوقية، وزنكية، ونورية، وأيوبية، ثم مملوكية، فقد أبعد العرب نهائيا عن العسكرية، واستقدم السلاطين والملوك المسلمون رقيقاً ابيض من انحاء مختلفة من العالم، وربوا تربية عسكرية خاصة، فكانوا جل جندهم وعسكرهم. ولما شعرت هذه العناصر بقوتها وسطوتها قتلت اخر سلطان ايوبي وهو تورانشاه واسسوا دولة جديدة عنصرية هي الدولة المملوكية التي اعتمدت على عنصرين رئيسين هما: العنصر التركي، والعنصر الجركسي.



رفض العرب هؤلاء الحكام المماليك، وقالوا لا نريد سلطانا مسه الرق بل نريد سلطانا مولودا على الفطرة، ولشعور هذه العناصر الغريبة بالغربة صاروا يتقربون من العامة، ببناء المساجد والمقامات والمدارس وتقريب العلماء والفقهاء ورفع لواء الجهاد ضد الفرنج والتتار. فنالوا قبول العرب سكان مصر وبلاد الشام، وسبب ذلك كمايقول ابن خلدون : «لأن الترف لم يأخذ منهم ، والشدة والشكيمة موجودة فيهم، والبأس والرجولة شعارهم» (كتاب العبر، دار الكتاب اللبناني،١٩٨١م،مجلد١٠،ص١١٤٤). الا أن الأمر تغير في منتصف القرن الثامن الهجري/الرابع عشرالميلادي فبدأ الانحلال ينخر في جسم الدولة، بسبب تنافس الامراء على السلطة، وقتل بعضهم بعضا، وانعكس ذلك على الاحوال العامة في البلاد، وبدأت الدولة في تراجع. ولكي يبقوا على مخايل العز والنعم في المساكن والجياد والمماليك والزينة، عمدوا الى جمع الاموال بطرق غير مشروعة، فزادوا من الضرائب، واستكثروا منها، واشتطوا في طلبها. كل ذلك كان على حساب المواطنين والاهالي العرب سكان البلاد الاصليون في مصر وبلاد الشام. فعانوا من الجور والظلم والعسف، حتى ان العديد من الفلاحين هجروا الارض الى المدن الكبرى وكونوا طبقة فقيرة اطلق عليها اسم (الحرافيش او الحرامية وسكنوا في عشش من القصب خارج تلك المدن)، وقسم منهم امتهن الرعي وحياة البادية، مما كان له اثره السلبي على الانسان العربي وعطائه الحضاري.

وهكذا فان ردة الفعل العربية تجاه هذا التحكم العنصري جاء على



شكل رفض كامل لهذا الواقع الصعب الذي عاشه ، وكان هذا الرفض اول مظهر لانبعاث الروح القومية العربية ضد السيطرة المملوكية الاجنبية وتمثل بالثورات التي قامت ضد الدولة المملوكية في مصر وبلاد الشام.

وهناك خلاف في (بداية القومية) ففريق من الباحثين يعبر ان الشعور القومي ظاهرة ملازمة للانسان منذ ان وجد المجتمع البشري، وان بعض سمات القومية قديمة قدم الانسانية نفسها. ومن هؤلاء (كوهن) الذي يرى ان التاريخ على مر العصورشهد بذور الشعور القومي في التمسك العميق من جانب الناس بارضهم وتقاليدهم، والسلطة القائمة في اقليمهم. وفريق آخر يرى ان القومية ظاهرة حديثة نسبيا، ويختلف هؤلاء ايضا في تأريخ بداية القومية في اوروبا، فمنهم من يرى ان المشاعر التي ظهرت في اواخر القرون الوسطى في الممالك التي توحدت في اوروبا، او كانت في طريقها الى الوحدة داخل حدود معينة هي البداية الحقيقية لظاهرة القومية. وآخرون يرون ان القومية بدأت تظهر قبل ذلك ، فـ (تيري) مثلا يرى ان الروح القومية الفرنسية ظهرت منذ القرن التاسع الميلادي ، ولكن (لونجتون) يقول : ان بداية اليقظة كانت في اوائل القرن الثاني عشر، أما (رانكة) فيؤكد انها ظهرت في القرن الثالث عشر، بينما يرى (جيزو وميشيليه) انها ظهرت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، (عبدالكريم احمد، القومية والمذاهب السياسية، ١٩٧٠م، ص٨٧).



وهناك اجماع بين الباحثين للفصل بين (ظواهر قومية) و(القومية)، فهم يقولون ان (القومية الحديثة) ظهرت في عهد الثورةالفرنسية . إذن نستطيع القول بأن (مظاهر القومية العربية) ظهرت مبكرا في الثورات التي قامت في مصر والشام ضد الحكم المملوكي، أما (القومية العربية الحديثة) فظهرت في (الثورة العربية الكبرى) أي منذ اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين.

كذلك فان القومية التي ترتبط بالدعوة الى قيام (الدولة القومية) ذات السيادة التي تخص امة بعينها، وتقسم المجتمعات البشرية الى (جنسيات) مختلفة تسيطر كل منها على اقليم تمارس فيه سيادتها المطلقة، ما كانت لتنمو قبل ان تبدأ جماعات كبيرة من الناس في الاهتمام (بوطنها) أو (بلادها) أو (مجتمعها) واعتباره،خاصا بها، لا يحق لغيرها ممارسة اية سيادة فيه.

ولا شك ان هذا يتطلب قدرا معينا من الاحاطة وسعة الافق، لا يتوافر لدى الناس عادة، الا بانتشار التعليم الى حد ما. وقد كان التعليم حتى أواخر العصور الوسطى في اوروبا وقفا في الغالب على رجال الدين المسيحي الذين يجنحون بطبيعة تفكيرهم، ومحتوى عقيدتهم الى (العالمية) في ظل السيادة الشاملة للدين، ولذلك لم تظهر البذور الأولى للقومية الا بعد ذلك ، فالقومية لم يكن من الممكن ان تنمو حتى تعلم الناس المشاركة في الحياة العامة.

ونستطيع القول: اننا في منطقتنا العربية لم نكن في منأى عن الاحداث والتيارات الفكرية العالمية، كنا على اتصال بالعالم فكريا



وثقافيا وسياسيا واقتصاديا.كانت منطقتنا في قلبه تتفاعل مع احداثه وافكاره وتياراته المختلفة، تأخذ وتعطي.كان مجتمعنا مثقفا متعلما تطلع الى حقه في ممارسته في الحياة العامة، والحياة السياسية الاخرى التي حرم منها في العصر المملوكي.فالعلماء (ورجال الدين) لم يكن لهم تأثيرهم الذي كان في السابق والذين كانت نظرتهم مستمدة من الاسلام (وعالمية الدولة)، لقد ضعف نفوذهم وتلاشى بسقوط (الخلافة العباسية) في بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. فالعرب قبلوا العناصر الأخرى في الدولة من منطلق عالميتها، وعندما حكموا أعطوا تلك العناصر حقوقها كاملة ولم يفرقوا بينهم وبين تلك العناصر والجنسيات، ولكن عندما سيطر هؤلاء على مقدرات الدولة، أبعدوا العنصر العربي عن الحكم، وصادروا ارضه وجعلوه قنا وعبدا لصاحب الاقطاع، وحرموه من حقوقه المدنية والسياسية والعسكرية . وعندما انتفى مفهوم عالمية الدولة الاسلامية، بدأ الانسان العربي ينظر الى اهليته في الحكم وحقه في ممارسة حقوقه التي حرم منها على ارضه ووطنه. فبدأت تتحرك لديه المشاعر القومية للمحافظة على هويته وشخصيته العربية، ورفض حكم العناصر الاخرى غير العربية حتى لو كانت مسلمة.

اذن نستطيع القوم بأن البذور الاولى للقومية العربية ظهرت في القرن الثالث عشر والرابع عشر، تماما في نفس الفترة الزمنية التي ظهرت فيها في اوروبا. الا ان الانسان العربي لم يكن قادرا على الاستحواذ على السلطة بسبب عدم قدرته العسكرية وابعاده عن



السلطة السياسية، فالحاكم كان الاقوى وبيده سوط الجلاد الذي به ينهي كل تحرك او ثورة ضده. فاستكان الانسان العربي وصبر على الظلم والجور وعانى الكثير من ظلم المماليك الذين سلموهم الى قوة أخرى جديدة هي الدولة العثمانية، بعد انتصار الأخيرة في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م.

حكم العثمانيون الولايات العربية بالحديد والنار، ونصب سلاطينهم من انفسهم خلفاء للمسلمين، وطلبوا من العرب الخضوع من منطلق عالمية الدولة الاسلامية. الا ان العرب لم يلقوا الانصاف والعدل مرة اخرى من العنصر التركي الذي حاول جاهدا طمس الشخصية والهوية العربية، بل والغاء لغته القومية. مما اثار السخط لدى احرار الامة العربية الذين اتصلوا بالحضارة الغربية، ونهل قسم منهم من علومها وثقافتها وتعلم في جامعاتها ليعود مبشرا بضرورة تحرير الانسان العربي من حكم جائر مستبد ظالم جامد.

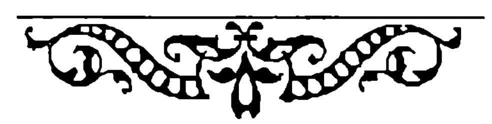
وهكذا كانت الافاقة او الصحوة ، ولكن هذه المرة بايدي عربية خالصة، فالمشروع النهضوي العربي الوحدوي الاول كان على يد الرسول العربي محمد صلى الله عليه وسلم، أما المشروع الوحدوي الثاني فكان مشروعا نهضويا اسلاميا عربيا على يد صلاح الدين الايوبي الكردي الاصل، العراقي المولد الشامي المنشأ والتربية. وها هو المشروع النهضوي الوحدوي العربي الثالث قام على يد احرارالعرب في الشام والعراق ومصر وحمل عبء قيادته الشريف حسين بن علي منطلقا به من مكة سنة ١٩١٦م. مناديا بالوحدة



والحرية والاستقلال والحياة الفضلى للامة العربية وخروجها من ظلام الحكم العثماني الجائر الى النور والعلم وحضارة العصر الحديث. ولمزيد من التفاصيل عن المشروع النهضوي العربي الوحدوي الحديث انظر (يوسف غوانمة، الحسين بن علي الملك والثائر، خطاب جديد لفكر النهضة العربية دارالفكر، عمان، ١٩٩٤م).




مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان



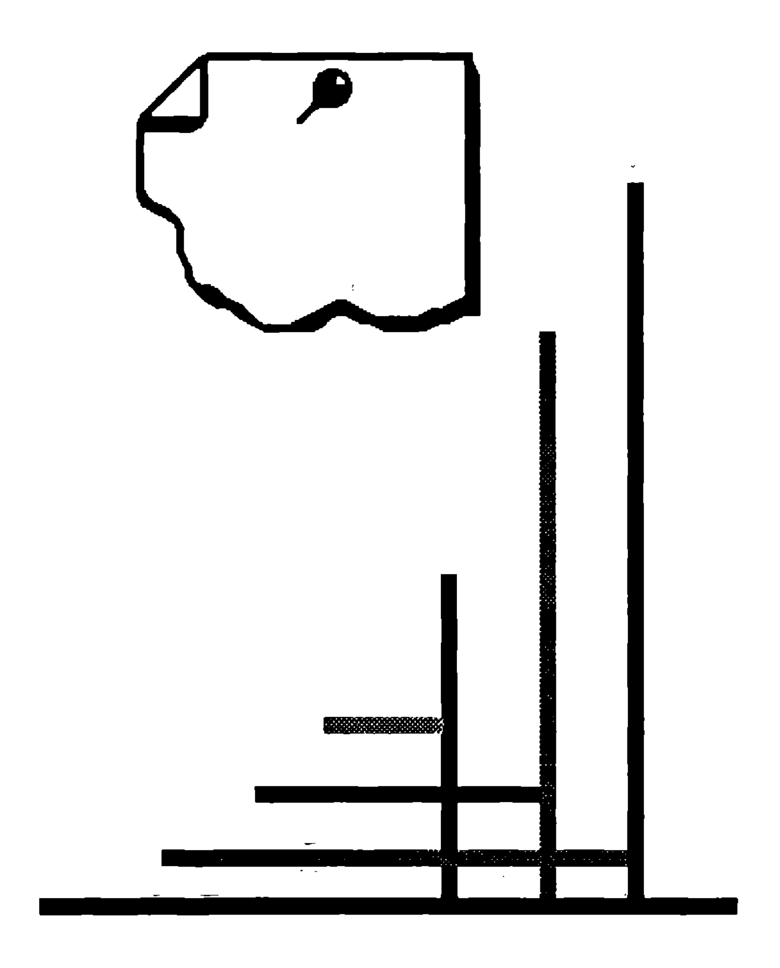


الفصل الرابع



دراسة تحليلية لبعض نصوص
معاهدات الصلح بين المسلمين والفرنج







القـدس

بقيت القدس طيلة الوجود الفرنجي في بلاد الشام وبعده، محور كل الحروبَ والمغامرات التي قام بها الغرب الاوروبي في بلاد الشام والشرق العربي، وتمكنوا من احتلالها. إلا ان العرب والمسلمين رفضوا هذا الاحتلال لما تمثله القدس من أهمية كبيرة لدى العقيدة الاسلامية، فهي قبلة المسلمين الاولى، ومسرى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الى السماء، بالاضافة الى المقدسات الاسلامية فيها، كما وانها عربية الاسم والهوية والاصل (يوسف غوانمة، عروبة القدس، مجلة شؤون عربية، ١٩٨٤م، العدد ٤٠، ص٧١-٨٥). ومن هنا فقد عمل العرب والمسلمون على استعادتها من الفرنجة على يد صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، ورغم محاولات الفرنج استعادتها الا ان محاولاتهم فشلت، ورأينا كيف ان صلاح الدين رفض تسليم القدس الى ريتشارد قلب الاسد اثناء مفاوضات الصلح بينهما. وارسل ريتشارد الى صلاح الدين يقول: (وان المسلمين والفرنج قد هلكوا، وخربت البلاد وخرجت من يد الفريقين بالكلية، وقد تلفت الاموال والارواح للطائفتين، وقد اخذ هذا الامر حقه، وليس هناك حديث سوى القدس والصليب (الصليب المقدس الذي استولى عليه المسلمون في حطين)، والبلاد، والقدس فمتعبدنا ما ننزل عنه، ولو لم يبق منا واحد، واما البلاد فيعاد الينا منها ما هو قاطع الاردن .. ونصطلح ونستريح



من هذا العناء الدائم» (ابن شداد،النوادر السلطانية، ١٩٧٩م،ص٢٩٢ . ٢٩٣). إلا أن صلاح الدين بعد ان استشار ارباب المشورة لديه ارسل اليه رسالة جاء فيها «القدس لنا كما هو لكم، وهو عندنا اعظم مما هو عندكم، فانه مسرى نبينا ومجتمع الملائكة، فلا تتصور ان ننزل عنه ولا نقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين، واما البلاد فهي ايضا لنا في الاصل، واستيلاؤكم كان طارئا عليها، لضعف من كان بها من المسلمين في ذلك الوقت، وما اقدركم الله على عمارة حجر منها ما دام الحرب قائما، وما في ايدينا نحن منها نأكل بحمد الله مغلة وننتفع به ...» (ابن شداد، النوادر السلطانية، ١٩٧٩م،ص٢٩٣).

فالتمسك بالقدس عربية اسلامية كان استراتيجية عربية اسلامية وما زالت، ومع ذلك فقد نصت المعاهدات على حرية الحج الى القدس لطوائف النصارى من جميع انحاء العالم، وتقديم كل مساعدة ممكنة لهم. وحظيت المقدسات المسيحية والحجاج النصارى بالرعاية في كل العصور الاسلامية (يوسف غوانمة، نيابة بيت المقدس، ١٩٨٢م).

الحدود الجغرافية:

من خلال استعراضنا لمعاهدات الصلح بين المسلمين والفرنج نرى ان المعاهدة تبدأ عادة بتحديد دقيق للحدود الجغرافية لكل طرف كأن تذكر: «... واقع عليها الاتفاق المبارك، ومستقرة لها هذه الهدنة الميمونة



بجميع حدود هذه الممالك المعروفة، وبلادها الموصوفة، وقراها وضياعها، وسهلها وجبلها، وعامرها وغامرها، ومزروعها ومعطلها، وطرقاتها ومياهها، وقلاعها وحصونها، على ما يفصّل في كل مملكة ...»(القلقشندي،صبح الاعشى،ج١٤، ٣١، ٣٢).

وجاء كذلك في معاهدة الظاهر بيبرس مع الفرنج والاسبتارية، ما يلي: «...وما هو محسوب منها، بحدودها المعروفة بها من تقادم الزمان، وما استقر لها الان، وما يتعلق بذلك: من المواضع والمصايد، والملاّحات والبساتين، والمعاصر، والطواحين والجزائر: سهلها وجبلها، وعامرها، ودائرها، وما يجري بها من انهار وينبع بها من عيون، وما هو مبني بها من عمائر، وكل ما عمر في اراضي المناصفات على دورها وانهارها». (القلقشندي، صبح الاعشى، ج١٤،ص٤٣).

وهكذا فان جميع المعاهدات كانت تنص صراحة وبالتفصيل على المناطق الداخلة في هذه الاتفاقيات وحدودها الجغرافية، وما تشتمل عليه من قرى ومزارع، وأودية وجبال وسهول، واغوار. وكانت عامة شاملة لكل البلاد الشامية، والمصرية الواقعة تحت حكم السلطان، والامر نفسه بالنسبة للمناطق الواقعة تحت الحكم الفرنجي، وقد نعتت هذه البلاد عادة (بالخاص) اي التي تخص السلطان او الفرنج فقط، لأن المعاهدات نصت على املاك ومناطق وسمتها (بالمناصفات) اي انها مناصفة بين السلطان والحكام الفرنج. (ابن عبدالظاهر، تشريف الايام والعصور، ص٤١).



تعود الامور كما كانت عليه الا اذا جددت بموافقة الطرفين. وكانت هذه المعاهدات فرصة للاستعداد لمرحلة جديدة من النضال والجهاد لتحرير الارض العربية من الاحتلال الفرنجي الغربي الاستعماري الاستيطاني.

كما نصت المعاهدات على ان يكون الرعايا بامان لمدة أربعين يوما بعد انقضاء مدة الهدنة ان لم تجدد، فقد جاء ما يلي: «وعند انقضاء الهدنة تكون التجار آمنين من الجهتين مدة أربعين يوما، ولا يمنع أحد منهم من العودة الى مستقرة»، (صبح الاعشى،ج١٤،ص٤٢).

المناصفات:

نصت المعاهدات على الاملاك (الخاصة)، وتعني تلك الاملاك الخاصة بالسلطان المسلم، وتلك الاملاك الخاصة بالحاكم الفرنجي، بحيث لا ينازعه فيها احد، ولا يشاركه احد عليها في السلطة أو في المتحصل منها (ابن عبدالظاهر، ص١٠٦).

إلاان هناك من الأملاك ما وصفت (بالمناصفات)، وهذه القرى والبلاد تكون عادة بين املاك السلطان والاملاك الفرنجية، وتكون مناصفة بين الطرفين الاسلامي والفرنجي، وقد نصت المعاهدات على أن يكون هناك نواب من قبل السلطان وآخرون من الطرف الفرنجي، يتولون الاشراف على بلاد المناصفات، بحيث لا ينفرد طرف بقرار.



تحديد المعاهدات بالسنوات والشهور:

لم تكن المعاهدات مطلقة، بل حددت بالسنوات والشهور، فبعضها حدد بثلاث سنوات كصلح الرملة، والاخر بعشر سنين، الا انه كان يسمح بتجديدها ان رغب الطرفان، فقد جاء في هدنة طرابلس «ولا ينقض ذلك بموت احدهما ولا بتغييره» (ابن عبدالظاهر،ص٢١١).

ولا بد من مصادقة هذه المعاهدات بعد الاتفاق عليها من المفاوضين من كلا الجانبين، وتتم المصادقة عادة باليمين التي يحلفها السلطان والحاكم الفرنجي، وتكون مكتوبة ويكون القسم امام الشهود. ومما جاء في بعض هذه النصوص الخاصة باليمين: «...واحفظها والتزم بجميع شروطها المشروحة فيها، وأجري الامور على أحكامها الى انقضاء مدتها، ولا أتأول فيها ولا في شيء منها، ولا أستفتي فيها لنقضها ...» (ابن عبدالظاهر، ص٢١٣).

أما الحاكم الفرنجي فبعد أن يقسم بالانجيل والسيدة مريم والديانة النصرانية يقول: «أنني ومن وقتي هذا وساعتي هذه قد أخلصت نيتي، واصفيت طويتي في الوفاء للسلطان المنصور، وولده الملك الصالح، ولاولادهما بجميع ما تضمنته هذه الهدنة المباركة، التي انعقد عليها الصلح ...وأعمل بجميع شروطها، شرطا شرطا، والتزم الوفاء بكل فصل في هذه الهدنة المذكورة الى انقضاء مدتها ...». (ابن عبدالظاهر،ص٢١٤).

وهكذا فان المعاهدات كانت محددة بالسنوات، وبعد انقضاء المدة

وان جـمـيع القـرارات تكون باتفـاق مـوظفي الطرفين، وان يكون بينهااتفاق كامل على كل اجراء يتم في تلك البلاد والخاصة بالجبايات والاموال بحيث (ولا تنفرد جهة عن جهةباستخراج درهم ولا غيره) (ابن عبدالظاهر،ص١٠٧). فالتعاون كان قائما بين المسلمين والفرنج في بلاد المناصفات في كل الامورالمتعلقة بتلك المناطق وسكانها. كما نصت المعاهدات بعدم السماح للعساكر أو المواطنين التطرق للبلاد التي دخلت في المعاهدات بأذية أو ضرر ولا سرقة ولا عدوان لا في بر ولا بحر (ابن عبدالظاهر،ص١٠٩).

الجبايات في بلد المناصفات:

وقد حددت المعاهدات المناطق التي يتفق عليها بان تكون مناصفة بين الطرفين على كل مافيها من الغلات الصيفية والشتوية، والعداد (ما يؤخذ من ضريبة على الماشية، او أية ضرائب أخرى بحيث تكون مناصفة بين السلطان والفرنج. (صبح الاعشى،ج١٤،ص٣٢). أما متحصل أرض المناصفات من مصائد على سواحل البحر او على شواطىء الأنهار، يقسم مناصفة بين الطرفين الاسلامي والفرنجي، بينما يسمح الفرنج للسلطان بالاستحواذ على جميع القش (طعام المواشي)، وبالمقابل فيعوض الفرنج بمبلغ من المال يتفق عليه. وكذلك المنشآت التي تقام على سيل المياه في أرض المناصفات من طواحين



وغيره، يكون متحصلها مناصفة، ويقوم بجمع الاموال اثنان الاول من جهة السلطان، والثاني من ناحية ملك او امير الفرنج.

وتطرقت المعاهدات على ان تكون الضرائب المتحصلة من الموانئ والتجار مناصفة بين الطرفين، فقد جاء في معاهدة الصلح بين الظاهر بيبرس والاسبتار والفرنج مايلي:/«ولكل ما هو من الموانيء والمراسي البحرية المعروفة جميعها بحصن المرقب (شمال سوريا الحالية): من ميناء بُلْده الى ميناء القنْطرة المجاورة لحدود مرقبة، تكون هي وما يتحصل منها من الحقوق المستخرجة من الصادرين والواردين والتجار، وما ينعقد عليه ارتفاعها، وتشهد به الحسبانات من الصادرين مناصفة. وما يدخل في ذلك من أجناس البضائع على اختلافها،يؤخذ الحق منه مناصفة على العادة الجارية من غير تغيير لقاعدة. بل تجري التجار من الحقوق على عادتهم في البضائع التي يحضرونها، والمتجر كائنا من كان (صبح الأعشى، ج١٤ص٤٥).

أما ما يتعلق بالرسوم وفرضها فيكون باتفاق الطرفين كذلك، فقد جاء في المعاهدات مايلي: «يتحصل من بلاد المناصفات أخذ الحقوق، وسائر المقاسمات والطرقات والبساتين والطواحين، والحقوق المقررة على الفدن على اختلاف اجناسها، على أن يكون لكل شيء باتفاق نواب الطرفين،ولا ينفرد طرف على آخر بقرار أو بفرض رسوم جديدة» (صبح الاعشى،ج١٤ص٤٦).



الأمن في بلاد المناصفات:

وجاء في المعاهدات بأن على الطرفين حماية بلاد المناصفات من كل طارق سواء اعتداءات عسكرية أو غيرها، وان على السلاطين عدم السماح لأي كان من العربان والتركمان من الدخول الى أرض المناصفات ان كانت (نيته محاربة الفرنج الداخلين في هذه الهدنة، فله المنع من ذلك). (صبح الأعشى، ج١٤ ص٣٣).

السكان وعمارة بلاد المناصفات:

نصت المعاهدات على حرية حركة السكان من الجانبين وتنقلهم وعودتهم اليها ان رغبوا بذلك، كما طلب من الجهتين رعاية وعناية وعمارة بلاد المناصفات. «وعلى ان كلا من الجهتين يجتهد ويحرص على عمارة بلد المناصفات المذكورة بجهده وطاقته ومن دخل اليها من الفلاحين بدواب، أوالتركمان أو من العرب، أو من الأكراد، أو من غيرهم كان عليهم العِداد كجاري العادة ، يكون النصف للسلطان والنصف لبيت الاسبتار» (صبح الأعشى، ج١٤ ص٣٢).

أما فيما يتعلق بالفلاحين في بلاد المناصفات، فان الامر فيهم بالحبس والاطلاق والجباية راجع الى نائب السلطان، شريطة أن يكون ذلك باتفاق مع نائب الفرنج، على ان يحكم على المخالفين بشريعة الاسلام ان كان مسلما، وان كان نصرانيا يحكم فيه بمقتضى شريعة مملكته أو امارته. كما وان جميع الفلاحين في بلاد المناصفات معفون



من السخر من كلا الطرفين، وهذا يعني ان السلطة الادارية والحاكمة في بلاد المناصفات مشتركة بين الطرفين، وهناك موظفون مسلمون وآخرون فرنج. كما اعطت المعاهدات حرية العودة للسكان ان كانوا قد نزحوا عن اراضيهم او قراهم من كلا الجانبين «لا يتقدم بمنع أحد من الفلاحين المعروفين بسكنى بلاد المناصفات من الرجوع اليها، والسكن فيها اذا اختاروا العود». (صبح الأعشى،ج١٤ص٣٣). واعطت المعاهدات الطرفين حرية الرعي في أراضي المناصفات دون ان يؤخذ على مواشيهم أية ضريبة، بالاضافة الى أنه لا يجوز معارضتها أو منعها. (صبح الأعشى، ج١٤،ص٣٣).

إذن فأرض المناصفات لها ادارتها الخاصة من الجانبين، ويطبق فيها قانون كل طرف على رعاياه فقط، واعطي الفلاحون حرية الزراعة والتنقل، كما منحها الطرفان الامن والاستقرار والحماية. وكل ما يتحصل منها يكون مناصفة بين الطرفين، أي ان هناك ما يسمى (بالتعايش السلمي) بينهما.

التعاون الأمني:

جاء في معاهدات الصلح نصوص تؤكد على توفير الامن للافراد والرعايا على جميع أجناسهم. وان يكون هذا الأمن للأموال المنقولة وغير المنقولة من أراضي ومزارع وقلاع ومدن ومواشي وأموال وغلال، بأن لا تتعرض لأية أذية أو غارات من كلا الطرفين، «وتكون



هذه البلاد المشروحة الداخلة في هذه الهدنة المباركة ما هو خاص، وما هو مناصفة آمنة مطمئنة ومن بها». (ابن عبدالظاهر، ص٤١). كما نصت المعاهدات على منح الأمن لجميع الرعايا من الطرفين، فقد جاء في معاهدة صور: «وعلى من حوته هذه الممالك وتحويه من عساكر وجند ورعايا عرب وتركمان واكراد وفلاحين، وسائر أجناس الناس أجمعين، على اختلاف أجناسهم وتغاير أشكالهم وأديانهم، وعلى أموالهم ومواشيهم على تغاير أصوافهاوأوبارها، والاموال على تغاير اجناسها (ابن عبدالظاهر،ص١٠٥). أما ما يتعلق بالفرنج فقد اعطت معاهدة صور الامن لجميع سكانها وعسكرها وتجارها فقد جاء ما يلي: «على ان تكون هذه البلاد المختلفة بمالكة صور آمنة مطمئنة، هي ومن فيها من عسكرها وخيالتها ورجالتها ورعيتها وتجارها على انفسهم واموالهم واولادهم، ومواشيهم في حالتي صدورهم وورودهم، وسفرهم واقامتهم الى آخر هذه الهدنة. (ابن عبدالظاهر،ص١٠٧).

ونصت الاتفاقيات ان على الفرنج ان يعلموا الدولة المملوكية عن اية حركة عسكرية فرنجية جديدة قادمة من أوروبا، قبل وصولهم الى السواحل الشامية بشهرين، حتى تأخذ الدولة استعدادها وحيطتها. وان كانت هناك تحركات عسكرية تتارية قادمة برا، فعلى احد الطرفين ان يبلغ الطرف الاخر عن هذه التحركات «فأي من سبق اليه من الجهتين فيعرف الجهة الأخرى». (ابن عبدالظاهر، ص٤٢). وعلى الفرنج الوقوف في وجه أي قوات عسكرية تتارية تدخل بلاد الشام، «وعليهم أن يدرءوا عن نفوسهم ورعيتم وبلادهم بما تصل قدرتهم اليه» (ابن عبدالظاهر،ص٤٢).



وجاء في معاهدة صور، بأن تلتزم مالكة صور «حفظ بلاد مولانا السلطان من جهتها من متجرم او مفسد، أو رجل غريبة وسائر الافرنجية، يتطرق من بلادها الى بلاد مولانا السلطان بأذية او إغارة أو فساد أو عدوان». (ابن عبدالظاهر، ص١٠٩). كما جاء في هذه المعاهدة بأن على مالكة صور أن لا توافق أحدا من سائر الفرنجية على أي أمر فيه أذية لبلاد المسلمين أو رعاياه، وعليها، ان لا تساعد أحدا على ذلك برمز او كتابة، ولا اشارة ولا رسالة». (ابن عبدالظاهر، ص١٠٩). وجاء في معاهدة طرابلس حول هذا الموضوع مايلي: «وان لا يحسن لاحد من اعداء السلطان، ولا يتفق عليه برمز ولا خط، ولا مراسلة،ولا مكاتبة ولا مشافهة». (ابن عبدالظاهر، ص٢١١).

ونصت معاهدة الظاهر بيبرس مع الاسبتارية بأن لا يتعرض المسلمون الى بلاد الاسبتارية بأية أذية، فالنص يقول :«ولا يتعرض أحد من المسلمين كافة من هذه البلاد الداخلة في هذه الهدنة الى بلاد الاسبتارية بأذية أو إغارة، ولا يتعرض أحد من جميع الفرنجة من هذه البلاد الداخلة في هذه الهدنة، بحدودها الجارية في يد نواب الاسبتار وفي أيديهم، الى بلاد الملك الظاهر بأذية او اغارة». (صبح الأعشى، ج١٤ص٣٦). وجاء في المعاهدة ايضا: «وعلى أنه لا يمكن بيت الاسبتارية من دخول رِجل غريبة في البر ولا في البحر الى بلادنا، بأذية ولا ضرر يعود على الدولة، وعلى بلادنا وحصوننا ورعيتنا، الا ان يكونوا يداً غالبة صحبة ملك متوج». (صبح الأعشى، ج١٤ص٥٠).

وهكذا فان معاهدات الصلح نصت واكدت على توفيرالامن للطرفين





وعدم السماح بالاعتداءت العسكرية، أو التعاون مع القوات الفرنجية الاوروبية القادمة الى البلاد الاسلامية، وضرورة الاخبار عنها حال سماع فرنج الشام بتحركها من اوروبا. كما نصت المعاهدات على منع أي عمل عدواني تقوم به أية فئة او أفراد في كلا الجانبين، بمعنى ان التعاون الامني والعسكري كان قائما بينهما وباتفاقهما ما دامت الهدنة قائمة. كما نصت معاهدة الظاهر بيبرس مع الاسبتار بعدم السماح لرعايا المسلمين من تركمان وعربان واكراد من دخول بلاد المناصفات بغير اتفاق مع بيت الاسبتار او رضاه، وذلك كي لا تقوم هذه الجماعات بأية اعمال ضرر او فساد ببلد المناصفات وبلد النصارى. ويعني هذا حماية أرواح الأقليات الفرنجية والمسيحية في الأراضي الشامية الداخلة في نطاق اتفاقيات الصلح. (صبح الأعشى، ج١٤،ص٣٩).

بناء التحصينات (المستوطنات)*

أكد المسلمون في معاهداتهم مع الفرنج عدم السماح لهم ببناء القلاع والحصون في الاراضي الفلسطينية والشامية التي يمكن ان تشكل خطورة على الواقع العسكري والاستراتيجي الاسلامي. «وليس للفرنج ان يجددوا في غير عكا وعثليث وصيدا مما هو خارج عن الاسوار في هذه الجهات الثلاث سورا ولا قلعة ولا برجا ولا حصنا قديما ولا مستجدا». (ابن عبدالظاهر، ص٤١). كما نصت معاهدة صور بمايلي: «وعلى ان الملكة مرجريت مالكة صور لا تستجد بناء



قلعة ولا تجديد سور، ولا حفر خندق ولا ما يتحصن به مما يمنع اويدفع». (ابن عبدالظاهر، ص١٠٩).

وجاء في معاهدة الظاهر بيبرس مع الاسبتار حول هذا الامر مايلي: «على أنهم لا يجددون عمارة قلعة ولا في القلعة عمارة، ولا في البدنة ولا في ابراجها ... ولا يجددون عمارة في ربضها ولا في سورها، ولا في ابراجها، ولا يجددون حفر خندق او عمارة خندق، أو تجدد بناية خندق، أوقطع جبل، او تحصن عمارة،أو تحصن بقطع جبل منسوبا لتحصين يمنع او يدفع». (صبح الأعشى، ج١٤،ص٤٩).

وهكذا فان المسلمين كانوا يعتبرون الفرنج طارئين، لذلك فقد اكدوا في المعاهدات على انه لا يجوز لهم تقوية انفسهم عسكريا واستراتيجيا، وذلك ببناء تحصينات جديدة او اماكن دفاعية مستجدة يمكن ان تشكل خطرا عليهم.

المياه :

لم تنس معاهدات المسلمين والفرنج موضوع المياه، سواء اكانت مياه الانهار او الينابيع، فقد نصت على حرية تصرف الفرنج بالمياه الواقعة ضمن املاكهم، أما المياه الواقعة في بلاد المناصفات فتكون مناصفة بين الطرفين. فقد جاء في هدنة عكا مايلي: «وما في الوطأة من انهار ومياه وعيون وبساتين وطواحين، وقنيٍ ومياه جارية، وسكور لهم بها عادة قديمة تسقي اراضيهم يكون خاصا لهم. وما عدا ذلك

من البلاد الجبلية جميعها تكون لمولانا السلطان وولده بكمالها». (ابن عبدالظاهر، ص٤١). وفي نفس الموضوع هناك نص في معاهدة صور يقول: «وما تشتمل عليه من قرى ومزارع وانهار وطواحين وابراج وبساتين». (ابن عبدالظاهر، ص١٠٥). أما معاهدة الظاهر بيبرس مع الفرنج والاسبتار فجاء فيها مايلي: «وما في جميع هذه البلاد من بساتين، وطواحين، وعمائر، ومصايد، وملاحات، ووجوه العين، والمستغلات الصيفية والشتوية والقطاني، والحقوق المستخرجة، وما هو مزروع من الفدن لاهل الربض وبيادرها، يكون مناصفة بين السلطان وبين بيت الاسبتار نصفين). (صبح الاعشى، ج١٤،ص٤٤).

وهكذا فان المياه من انهار وسيول وعيون كان يستخدمها الفرنج قديما من املاكهم تبقى لهم، أما المياه في المناطق الاخرى الجبلية فهي ملك للسلطان لا حقوق للفرنج فيها، أما المياه في ارض المناصفات فتكون مناصفة بين الطرفين.

حرية الملاحة ومحاربة القرصنة في البحر المتوسط

نصت المعاهدات على حرية الملاحة في البحر المتوسط والسواحل الشامية للسفن الاسلامية، «وعلى ان شواني (سفن) مولانا السلطان وشواني ولده، متى عمرت وخرجت، لا تتعرض لاذية في البلاد الساحلية التي انعقدت الهدنة عليها». (ابن عبدالظاهر، ص٤١). كما ان المعاهدات نصت على ان تقدم الموانئ الفرنجية كل التسهيلات



اللازمة لهذه السفن في تلك الموانىء، من التزود بالطعام والمياه. وان تعرضت بعض تلك السفن للعطب، فيسمح باصلاحها في تلك الموانئ، وان تعذر ذلك،فعلى الفرنج رد جميع السلع والبضائع التي تحملها تلك السفن الى اصحابها كاملة دون نقصان (ابن عبدالظاهر، ص٤١).

وأكدت المعاهدات على محاربة (القراصنة) المتواجدين في البحر المتوسط، وعدم السماح لهم بالدخول الى موانئ اي من الطرفين الاسلامي والفرنجي، وذلك من اجل التزود بالطعام او المياه، وعلى الطرفين القاء القبض عليهم، «انهم لا يمكنون حرامية البحر من الزوادة من عندهم، ولا من حمل ماء، وان ظفروا باحد منهم يمسكوه، وان باعوا عندهم بضائع يمسكوا حتى يحضر صاحبها وتسلم اليه، وكذلك يعتمد مولانا السلطان في امر الحرامية هذا الاعتماد». (ابن عبدالظاهر، ص٤٢). فالاتفاقيات شملت كذلك المياه الاقليمية وغيرها في البحر المتوسط، وحماية حركة الملاحة البحرية من القرصنة البحرية.

حرية التجارة والتنقل:

أعطى المسلمون والفرنج التجارة أهمية خاصة، حتى ان السلطان صلاح الدين قد حيَّد التجارة لحاجة كل منهما الى هذا المورد الاقتصادي، فالمسلمون كانوا وسطاء التجارة الدولية القادمة من



الشرق الاقصى،والفرنج والمدن الايطالية كانت بحاجة الى هذه السلع لان اقتصادها قائم على حركة التجارة الدولية مع الموانئ الشامية والمصرية عبر البحر المتوسط، وقد ظل هذا الامر قائما في العصور اللاحقة.

فقد جاء في معاهدات الصلح موضوع الدراسة على حرية التجارة، وحرية التنقل للافراد والقوافل التجارية بين الطرفين،وجاء في معاهدة صور مايلي: «على ان تكون هذه الممالك المذكورة، وما اشتملت عليه، ومن فيها من سائر الناس اجمعين الساكنين بها والقاطنين والمترددين اليها، ومنها وفيها من التجار والسفار آمنين مطمئنين على انفسهم واموالهم ومواشيهم في حالتي صدورهم وورودهم وسفرهم واقامتهم». (ابن عبدالظاهر، ص١٠٥)، على ان تكون حرية التنقل والسفر والتجارة للبلاد الخاصة وبلاد المناصفات.

وبخصوص حرية التجارة البرية والبحرية فقد أكدت معاهدة صور على مايلي: «وعلى أن التجار والسفار والمترددين من الجهتين يترددون ويبيعون ويشترون ويوردون ويصدرون، آمنين مطمئنين على نفوسهم وأموالهم، وعلى أنهم لا يحدث عليهم شيء غير ما جرت العوائد به من الجهتين. وان الممنوعات مستقر حالها في البيع على حالتها، وعلى أن المراكب من الجهتين المترددة في البحر، تكون كل فرقة منها من الفرقتين آمنة من الفرقة الأخرى، مطمئنة في البحور والمراسي والدخول والخروج، تلتزم كل طائفة من الجهتين كف الأذية عن الجهة الأخرى». (ابن عبدالظاهر، ص١٠٨).



ونصت المعاهدات على تحصيل الضرائب على التجارة المتبادلة بين الطرفين، وقد عين لذلك موظفون ليقوموا بهذه المهمة على رأسهم (المشد)، وهو موظف يعينه السلطان يعاونه عدد من الموظفين والاجناد، يراقبون كل ما يدخل الى مناطق الفرنج، يمنعون ما يجب منعه، ويسمحون للسلع الاخرى بالمرور بعد استيفاء الضرائب المقررة» (ابن عبد الظاهر، ص٢١١). ولم تغفل المعاهدات حرية تنقل الافراد والفلاحين من كلا الجانبين للتجارة أو للبيع والشراء : «وتقرر ان يكون فلاحو بيت الاسبتار رائحين وغادين ومتصرفين في بيعهم وشرائهم، مطمئنين لا يتعدى احد عليهم. وان تعدى احد من الجهتين في سوق او طريق، في ليل أو نهار، تكون المهلة خمسة عشر يوما، فان ردت الشكوى كلها، فما يكون الا الخير بينهم». (صبح الاعشى، ج١٤ ،ص٣٥)، والا فعليه اليمين، فان رفض يحلف، وان رفض فعليه رد الأذية. إذن هناك حماية للتجار والسلع في كلا الجانبين الاسلامي والفرنجي.

وجاء في معاهدة الظاهر بيبرس مع الاسبتار حول حرية التجارة والتنقل بين الجانبين ما يعطينا صورة حية لاتفاقيات الصلح هذه فقد جاء: «وعلى أن التجار والسفار والمترددين من جميع هذه الجهات المذكورة، يكونون آمنين من الجهتين: الجهة الاسلامية والجهة الفرنجية والنصرانية، في البلاد التي وقعت هذه الهدنة عليها -على النفوس والاموال والدواب، وما يتعلق بهم، يحميهم السلطان ونوابه، ويتعاهدون البلاد الداخلة في هذه الهدنة المباركة، الواقع عليها الصلح





وفي بلد المناصفات- من جميع المسلمين، ويحميهم بيت الاسبتار في بلادهم الواقع عليها الصلح، وفي بلد المناصفات من الفرنج والنصارى كافة. وعلى ان يتردد التجار والمسافرون من جميع المترددين ، على أي طريق اختاروه من الطرق الداخلة، في عقد هذه البلاد الداخلة في هذه الهدنة المباركة المختصة بالملك الظاهر، وبلاد معاهدية وبلاد المناصفات، وخاص بيت الاسبتار والمناصفات، يكون الساكنون والمترددون في الجهتين امنين مطمئنين على النفوس والأموال، تحمي كل جهة الجهة الأخرى». (صبح الأعشى، ج١٤،ص٣٧).

وهكذا فان جميع الطرق تكون محمية عليها درك من الطرفين، وذلك من أجل حماية حركة التجارة والتنقل بين الطرفين بحرية كاملة دون خوف أو فزع، وهذا يؤكد اهتمام الطرفين بضرورة انسياب السلع والتجارة بينهما دون عوائق. ونصت المعاهدات على عدم فرض رسوم جديدة غير متفق عليها على التجارة المتنقلة بين الطرفين برا او بحرا، واكدت على حراسة وحماية حركة التجارة البحرية كذلك.

فقد جاء في معاهدة الصلح التي عقدها الظاهر بيبرس مع بيروت ما يلي: «ويكون جميع المترددين من هذه البلاد واليها آمنين مطمئنين على نفوسهم واموالهم وبضائعهم من (ملكة بيروت) وغلمانها، وجميع من هو في حكمها وطاعتها، برا، وبحرا، ليلا ونهارا، ومن مراكبها وشوانيها. كذلك رعية الملكة وغلمانها يكونون امنين على أنفسهم



واموالهم وبضائعهم، ومن السلطان ومن جميع نوابه وغلمانه، ومن هو تحت حكمه وطاعته، برا وبحرا ، ليلا ونهارا، وجميع بلاد السلطان، ومن مراكبه وشوانيه،وعلى الا يحدد على أحد من التجار المترددين رسم لم تجر به عادة، بل يجرون على العوائد المستمرة، والقواعد المستقرة من الجهتين»، (صبح الأعشى، ج١٤،ص٤١).

كما نصت إتفاقية الهدنة هذه على حراسة المراكب حتى تصل الى موانئها من كلا الطرفين دون أخذ رسوم على ذلك، «وعلى أن التجار السفارة والمترددين بالبضائع من بلاد المسلمين والنصارى، متى ما خرجوا من المواني المحدودة أعلاه، يتوجهون بخفارة الجهتين من غير حق: لا يتناول من الخفارة شئ منسوب الى نفوسهم، الى أن يخرجهم ويحضرهم الى البحر آمنين مطمئنين، تحت حفظ الجهتين. ومتى وصل التجار من مملكة السلطان الى بلاد الاسبتار وموانيهم، فالترتيب على الخفارة من الجهتين»، (صبح الاعشى، ج١٤،ص٤٧).

وهكذا فان حرية التنقل بين الطرفين مباحة وميسرة دون عقاب أو اعاقات: «يكونون آمنين على أنفسهم وأموالهم ومن يلوذ بهم ويتعلق في حال صدورهم وورودهم الى بلادنا الجارية في مملكتنا في البر، منا ومن نوابنا بالمملكة والبلاد الجارية في حكمنا»، (صبح الأعشى، ج١٤،ص٤٧). وهذا دليل على الأهمية الكبيرة التي أولتها معاهدات الصلح لحركة التجارة البرية والبحرية، وتنقل الأفراد بين الطرفين فقد منحهم الطرفان الاسلامي والفرنجي الامان والاطمئنان.



حرية العبادة وزيارة الأماكن المقدسة:

لم تغفل المعاهدات الاماكن المقدسة في فلسطين فقد نصت على حرية العبادة فيها، والسماح للنصارى بزيارتها، تلك الكنائس الموجودة في القدس والناصرة، وبيت لحم، مع اعطائهم حريةالوصول اليها، واداء الصلاة في كنائسها، وتأمين وصول القسس والرهبان الهيا، وتخصيص بيوت معينة لاقامة زوار كنيسة الناصرة بحيث يكون الجميع «امنين مطمئنين في توجههم وحضورهم الى حدود البلاد الداخلة في هذه الهدنة، ولا يتعرض الى الاقساء والرهبان». (ابن عبدالظاهر، ص٤٣).

كما نصت المعاهدات على حماية أوقاف الكنائس واملاكها، واملاك بعض الفرسان، فجاء في معاهدة طرابلس :«وجميع هذه الجهات التي ذكرناها، ومناصفات المرقب التي دخلت في الصلح، مع بيت الاسبتار وبلده ومدينته ... وعرقا وبلادها، المعينة في الهدنة، وعدتها أحد وخمسون ناحية، وما هو للخيالة والكنائس وعدتها أحد وعشرون بلدا...»، (ابن عبدالظاهر، ص٢١٠)

فمن خلال النصوص السابقة تجد التسامح الديني الذي تمتع به الاسلام الذي أعطى حرية ممارسة الطقوس الدينية بحرية لكل الاديان السماوية الثلاثة، والتأكيد على حماية رعاياها، وتمكينهم من الوصول الى مقدساتهم في القدس والناصرة وبيت لحم، وتوفير الحماية لهم. وقد ظل هذا الامر ساريا طيلة العصور الاسلامية المختلفة.

احكام عام:

وتختص هذه الأحكام بقضايا : الجريمة، والسرقة، والتسحب من جهة الى اخرى، فالبت في هذه القضايا يكون حسب أنظمة وشريعة كل طرف، فاذا قتل شخص (ووجد القاتل، فان كان القاتل مسلما يحكم فيه نواب مولانا السلطان الملك المنصور، بما تقتضيه سياسة السلطنة الشريفة المطهرة، وان كان نصرانيا من أهل صور (مثلا)، تحكم فيه الملكة مرجريت مالكة صور، كل جهة بحضور نائب من الجهة الأخرى، يباشر الحكم فيه بما تقتضيه أحكام الجهتين ... وذلك يكون الحكم في كل من تعدى واسرف واغتال، يتولى ذلك نواب مولانا السلطان تأديب المسلم، وتأديب النصراني يتولاه نواب الملكة مالكة صور. (ابن عبدالظاهر، ص١٠٨).

ونصت المعاهدات على مقاومة الجريمة، فان عرف القاتل يحكم فيه حسب النص السابق، وان لم يعرف تؤخذ الدية من أهل القرايا التي يقتل فيها ذلك الشخص، جناية لهم وتأديبا جملة واحدة، ويعتمد ذلك من الجهتين، وان هرب أحد من الجانبين يرد بما معه (ابن عبدالظاهر، ص١٠٨). وهم بذلك يتعاونون في مجال مكافحة الجريمة.

وفيما يتعلق بالسرقة، يقوم كل طرف بكل جهد ممكن بالكشف عن السرقة ان توجهت الى بلاد الطرف الاخر، ويجري الامر بالنسبة للقتل فان عرف القاتل يقتل، وان لم يعرف فيؤخذ العوض، وان هرب الشخص الى الجهة الأخرى ومعه مال لغيره، أعيد جميع المال، أما هو



فيخير بين المقام والعود. إلا ان معاهدة الظاهر بيبرس مع الاسبتار نصت على ان يعاد الاشخاص المتسحبين الى بلاد الطرفين، ويعاد معهم ما كانوا يحملونه من مال أو خيل وقماش، أو دراهم،أو ذهبا، وما يتعامل به الناس. «اذا تسحب أحد من جهتهم من الفرنج أو النصارى الى ابوابنا الشريفة، أو وصل الى جهة نوابنا يمسك ويسلم بما يحضر معه: من الخيل والأقمشة والعدة وجميع ما يصل ان كان قليلا او كثيرا، يمسكه نوابنا، ويسلمون ذلك بما معه للفرنج، ويأخذون الخطوط بذلك بتسليمه بما حضر معه»، (صبح الأعشى، ج١٤،ص٤٩). أي ان هناك ما يسمى (باتفاقية تسليم المجرمين واللصوص)، بأن يعاد الأشخاص وما أحضروه معهم، ويتم ذلك وفق ايصال رسمي موقع بالاستلام.







خاتمة :

ان المتتبع لنصوص معاهدات الصلح التي عقدت بين المسلمين والفرنج، يرى بأنها شملت كل شيء: الحدود الجغرافية، المدة الزمنية الخاصة بهذه المعاهدات، الأمن، الأملاك الخاصة، أملاك المناصفات، بناء التحصينات او المستوطنات،المياه والمزارع، الضرائب والرسوم، حرية الملاحة، محاربة القراصنة، حرية تنقل الافراد، حرية التجارة بين الطرفين برا وبحرا، مقاومة الاخطار الاوروبية والتتارية من كلا الطرفين والتعاون المشترك في هذا المجال، عدم السماح بالاعتداء على أراضي واملاك الطرفين من القوات العسكرية أو غيرها، حرية العبادة وزيارة الاماكن المقدسة في بيت المقدس والناصرة وبيت لحم، والتعاون في مجال القضاء على الجريمة من قتل وسرقة الى غير ذلك من الامور.

الا ان المعاهدات لم تنص على ما يسمى (بالتطبيع الثقافي) في وقتنا الحاضر، فالمسلمون لم يكن ليعنيهم هذا الأمر آنذاك، وذلك لأنهم الأكثر حضارة والأقوى مدنية، فالفرنج أثناء وجودهم في بلاد الشام تعلموا اللغة العربية وتأثروا بالحضارة العربية الاسلامية، ونهلوا من علوم العرب المسلمين، بل كانوا نافذة من نوافذ نقل الحضارة والعلوم العربية الاسلامية، الى الغرب الأوروبي، بعد أن ترجمت الى لغاتهم، واصبحت فيما بعد أساس النهضة الاوروبية. فالعرب والمسلمون لم يكونوا يخشون الفرنج والغرب الاوروبي من الناحية الثقافية، لأنهم الأرقى ثقافة، والاكثر تقدما من النواحي العلمية والثقافية. لم يؤثروا

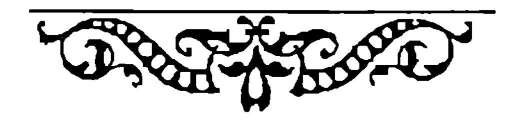


في مجتمعاتنا، بل نحن اثرنا في المجتمع الفرنجي، فقد لبسوا الالبسة الشرقية، وتأثروا ببعض العادات العربية الاسلامية، وتزوج بعضهم من نساء شرقيات، لقد اندمج الفرنج فيما بعد بالمجتمع العربي الاسلامي، بل وذابوا فيه ولم يكن لهم تأثير على قيمه وتقاليده، لقد استوعبنا هذه القلة بعد انهاء وجودهم العسكري في فلسطين والساحل الشامي، وانصهروا في بوتقة الحضارة والثقافة والمجتمع العربي الاسلامي، واصبحوا جزءا منه، وانتهوا وكأنهم لا شيء ....!!!.

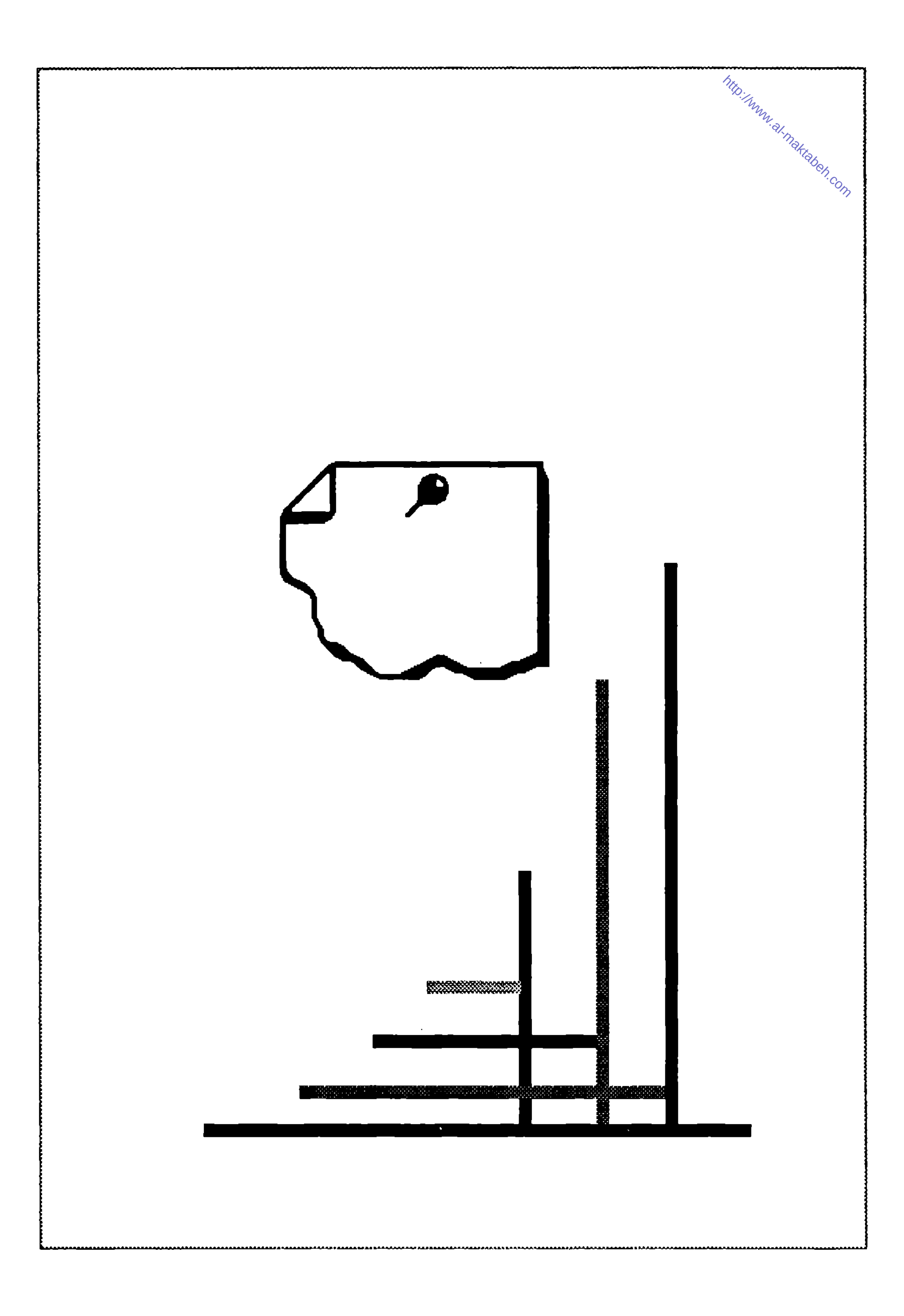
فهل يتمثل العرب الآن تاريخهم، ويعيدوا قراءته من جديد، ويأخذوا منه العبر والدروس ؟ فهم اقوياء بموروثاتهم الحضارية، وعليهم اعادة بناء المشروع النهضوي الوحدوي العربي، على اسس علمية قوية، مع اعطاء الانسان العربي حريته كاملة غير منقوصة، في ممارسة حقوقه بحرية في العيش والتعلم والكلمة والكتاب والتعددية السياسية واحترام حقوقه الانسانية، وبناء نظامه المؤسسي، ونبذ الاحادية والفردية للشخص والحزب، ومحاربة الديكتاتورية مهما كانت اشكالها وانماطها، والتقدم نحو القرن الحادي والعشرين بخطى ثابتة، مسلحين باقتصاد حر قوي، وتكنولوجيا متطورة، وقوة عسكرية متقدمة، وتربية عصرية لانساننا العربي بكل اشكال التقدم والرقي، وابراز الشخصية العربية والهوية العربية بقوة وثقة وثبات، ونبذ الفرقة والخلاف بين أبناء الأمة الواحدة، ومحاربة التطرف والتزمت والتعصب الاعمى المقيت، لانها ليست من قيمنا ولا تقاليدنا ولا عقيدتنا، عندئذ يمكن ان نبني الوطن الحر المتقدم القوي ونكون قوة عظمى في هذا



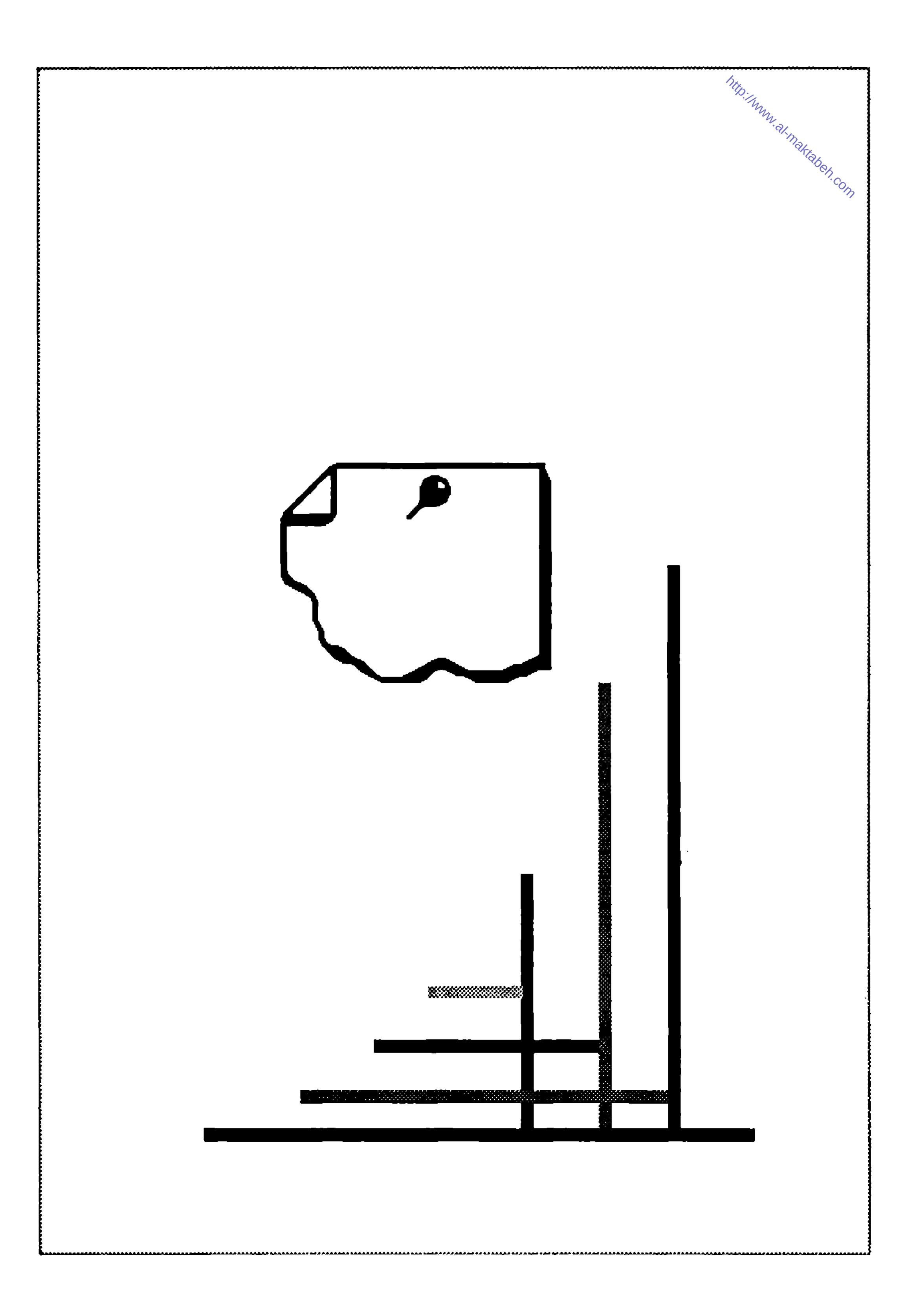
العالم، لا نأبه بمشاريعه التي تهدف الى تدميرالانسان العربي، واذابة شخصيته وانهاء قوميته في نظام جديد، واقليم يسعون الى خلقه في منطقتنا العربية، يكون وجودنا هامشيا فيه. فهل نتنبه الى ما يدور من حولنا، ونواجهه بكل جرأة وشجاعة وتخطيط علمي مدروس ؟؟ فان لم نعمل ذلك فان انساننا العربي في خطر، وشخصيتنا العربية الى زوال، وهويتنا العربية والقومية، ونظامنا العربي مهدد بالانتهاء والفناء ... والتاريخ لن يرحم زعاماتنا وقياداتنا التي عليها تقع المسؤولية في الدرجة الأولى ... !!!.







الملاحق





ملحق رقم (١)

نسخة الهدنة التي كتبت بين الملك الظاهر بيبرس صاحب الديار المصرية، وبين الاسبتار بحصن الأكراد والمرقب في ٤ رمضان سنة ٦٦٥هـ. من كتاب القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة النشا، الجزء ١٤، ص ٣١-٣٩.

وهذه نسخة هدنة؛ كتبت بين الملك الظاهر «بيبرس البندقداري» صاحب الديار المصرية، وبين الاسبتار بحصن الأكراد والمرقب، في رابع شهر رمضان سنة خمس وستين وستمائة، وهي:

استقرت الهدنة المباركة بين مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدين ابي الفتح «بيبرس» الصالحي النجمي، وبين المقدم الكبير الهمام فلان مقدم بيت الاسبتار الفلاني بعكا، والبلاد الساحلية، وبين فلان مقدم حصن الاكراد، وبين فلان مقدم حصن المرقب، وجميع الاخوة الاسبتار، لمدة عشر سنين متوالية وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات: أولها يوم الاثنين رابع رمضان سنة خمس وستين وستمائةمن الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام،الموافق لليوم الثلاثين من أيام سنة الف وخمسمائة وتسعة وسبعين سنة للاسكندر ابن فيلبس اليوناني - على ان جميع المملكة الحمصية والشيزرية والحموية وبلاد الدعوة المباركة، واقع عليها الاتفاق المبارك، ومستقرة لها هذه الهدنة الميمونة بجميع حدود هذه الممالك المعروفة، وبلادها؛

وقراها وضياعها، وسهلها وجبلها؛ وعامرها وغامرها، ومزروعها ومعطلها، وطرقاتها ومياهها، وقلاعها وحصونها - على ما يفصل في كل مملكة، ويشرح في هذه الهدنة المباركة للمدة المعينة إلى آخرها.

وعلى ان المستقر بمملكة حمص المحروسة أن جميع المواضع والقرى والاراضي التي من نهر العاصي، وتغرب إلى الحد المعروف من الغرب لبلد المناصفات: عامرا وداثرا، وبما فيها من الغلات صيفيا وشتويا، والعداد وغيرها من الفوائد جميعها - تقرر أن يكون النصف من ذلك للسلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين ابي الفتح «بيبرس» والنصف لبيت الاسبتار.

وعلى ان كلا من الجهتين يجتهد ويحرص في عمارة بلد المناصفات المذكورة بجهده وطاقته، ومن دخل اليها من الفلاحين بدواب ، او من التركمان، او من العرب، او من الاكراد، او من غيرهم، او الفناة - كان عليهم العداد كجاري العادة. ويكون النصف للسلطان، والنصف لبيت الاسبتار.

وعلى ان الملك الظاهر يحمي بلد المناصفات المقدم ذكرها من جميع عسكره واتباعه، وممن هو في حكمه وطاعته، ومن جميع المسلمين الداخلين في طاعته كافة. وكذلك مقدم بيت الاسبتار واصحابه يحمون بلاد مولانا السلطان الداخلة في هذه الهدنة. وعلى ان جميع من يتعدى نهر العاصي مغربا لرعى دوابه: سواء أقام او لم يقم، كان عليه العداد سوى قناة البلد ودوابه، ومن يخرج من مدينة حمص ويعود إليها، ومن غرب منهم ومات كان عليه العداد.



وعلى ان يكون أمر فلاحي بلد المناصفات في الحبس والاطلاق والجباية راجعا إلى نائب مولانا السلطان، باتفاق من نائب بيت الاسبتار، على ان يحكم فيه بشريعة الاسلام ان كان مسلما، وان كان نصرانيا يحكم فيه بمقتضى دولة حصن الاكراد. وان يكون الفلاحون الساكنون في بلاد المناصفات جميعها مطلقين من السخر من الجانبين.

وعلى ان الملك الظاهر لا يأخذ في بلد المناصفات المذكورة: من تركمان ولا عرب ولا أكراد ولا غيرهم عدادا ولاحقا من حقوق بلد المناصفات، إلا ويكون النصف منه للملك الظاهر، والنصف الآخر لبيت الاسبتار.

وعلى ان الملك الظاهر لا يتقدم بمنع احد من الفلاحين المعروفين بسكنى بلاد المناصفات من الرجوع اليها، والسكن فيها اذا اختاروا العود. وكذلك بيت الاسبتار لا يمنعون احدا من الفلاحين المعروفين بسكنى بلاد المناصفات من الرجوع اليها والسكن فيها اذا اختاروا العود.

وعلى ان الملك الظاهر لا يمنع احدا من العربان والتركمان وغيرهم ممن يؤدي العداد، من الدخول الى بلد المناصفات، إلا ان يكون محاربا لبعض الفرنج الداخلين في هذه الهدنة، فله المنع من ذلك. وان تكون خشارات الملك الظاهر وخشارات عساكره وغلمانهم واهل بلده ترعى في بلد المناصفات آمنة من الفرنج والنصارى كافة. وكذلك خشارات بيت الاسبتار وخشارات عسكرهم وغلمانهم واهل بلدهم



ترعى آمنة من المسلمين كافة في بلد المناصفات. وعند خروج الخشارات من المراعي وتسليمها لاصحابها، لا يؤخذ فيها حق ولا عداد ولا تعارض من الجهتين.

وعلى ان تكون مصيدة السمك الرومية مهما تحصل منها، يكون النصف منه للملك الظاهر والنصف لبيت الاسبتار. وكذلك المصايد التي في الشط الغربي من العاصي يكون النصف منه للملك الظاهر والنصف لبيت الاسبتار. ويكون لبيت الاسبتار في كل سنة خمسون دينارا صورية عن القش. ويكون القش جميعه للملك الظاهر يتصرف نوابه فيه على حسب اختيارهم. ويكون اللينوفر مناصفة: النصف منه للملك والنصف لبيت الاسبتار. وتقرر ان الطاحون المستجد المعروف بإنشاء بيت الاسبتار، الذي كان حصل فيه، والبستان الذي هناك المعروف بإنشاء بيت الاسبتار ايضا يكون مناصفة. وان يكون متولي امرهما نائب من جهة نواب السلطان ونائب من جهة بيت الاسبتار، يتوليان أمرهما والتصرف فيهما وقبض متحصليهما. وتقرر ان مهما يجدده بيت الاسبتار على الماء الذي تدوربه الطاحون ويسقي البستان من الطواحين والابنية وغير ذلك، يكون مناصفة بين الملك الظاهر وبين بيت الاسبتار.

واما المستقر بمملكة شيزر المحروسة، فهي شيزر، وابو قبيس واعماله، وعينتاب واعمالها، ونصف زاوية بغراس المعروفة بحماية بيت الاسبتار واعمالها، وجميع اعمال المملكة الكسروية والبلاد المذكورة بحدودها المعروفة بها، وقراها المستقرة بها، وسهلها وجبلها وعامرها وغامرها.



وما استقر بمملكة الملك المنصور، ناصر الدين «محمد» بن الملك المظفر ابي الفتح «محمود» بن الملك المنصور «محمد» بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب فهي* حماة المحروسة وقلاعها ومدنها، والمعرة وقراها وسهلها وجبلها وانهارها، ومنافعها وثمارها وعامرها وغامرها، وبلاد رقيبة وبلاد بارين بحدودها وتخومها وعامرها وداثرها وجميع من فيها وما فيها - على ان الملك المنصورلا يرخص للتركمان ولا للعرب ان ينزلوا بلد رقيبة وبارين سوى ثلاثين بيتا يحملون الغلة لقلعة بارين، وان أرادوا الزيادة يكون بمراجعة الإخوة الاسبتارية والاتفاق معهم على ذلك.

وعلى انه إن تعدى احد من أصحابه بأذية، او تعدى احد من الفرنجة في بلاده بأذية، كانت المهلة في ذلك خمسة عشر يوما، فإن انكشفت الاخيذة اعيدت. وإلا تخلف الجهة المدعى عليها انها ما علمت وما أحست، وكما لهم، كذلك عليهم.

والمستقر لمملكة الصاحبين: نجم الدين وجمال الدين، والامير صارم الدين نائبي الدعوة المباركة، وولد الصاحب ورضي الدين، وهي: مصياف والرصافة وجميع قلاع الدعوة وحصونها وسهلها ووعرها وعامرها وداثرها، ومدنها وبلادها، وضياعها وطرقاتها، ومياهها ومنابعها، وجميع بلاد الاسماعيلية بجبلي بهرا واللكام، وكل ما تشتمل عليه حدود بلاد الدعوة وتخومها - ان يكون الجميع آمنين من على الرصيف الذي بشيزر الى نهاية الاراضي التي بحصون الدعوة وبلادها. وحماية القرية المعروفة بعرطمار (؟) يكون له أسوة



الاسماعيلية. وإن علم الاصحاب ان أحدا من الاسماعيلية قد عبر الى بيت الاسبتار لاذية، أعلموا بيت الاسبتار قبل ان تجري أذية، وما لم يعلموا به عليهم اليمين انهم ما عملوا به، وان لم يحلفوا يردوا الاذية التي تجري.

وتقرر ان يكون فلاحو بيت الاسبتار رائحين وغادين ومتصرفين في بيعهم وشرائهم، مطمئنين لا يتعدى أحد عليهم. وكذلك جميع بلاد الإسماعيلية لا يتعدى أحد عليهم، وان يكونوا آمنين مطمئنين في جميع بلاد الاسبتارية، وان تعدى احد من الجهتين في سوق او طريق، في ليل او نهار، تكون المهلة خمسة عشر يوما، فان ردت الشكوى كلها فما يكون إلا الخير بينهم، ومن توجهت عليه اليمين حلف، ومن لم يفعل يحلف وإلا يرد الأذية. وتكون الضيعة التي رهنها عبدالمسيح رئيس المرقب الاسبتار، وهي المشيرقة تكون آمنة ان كان الحال استقر عليها الي آخر وقت عند كتابة هذه الهدنة المباركة بين الاصحاب وأصحابهم. ويحمل الامر في الحقوق.

ويبطل ما هو على بلاد الدعوة المباركة من جميع ما لبيت الاسبتار على حماية مصياف والرصافة، وهو في كل سنة الف ومائتا دينار قومصية، وخمسون مدا حنطة، وخمسون مدا شعيرا، ولا تبقى قطيعة على بلاد الدعوة جميعها، ولا يتعرض بيت الاسبتار ولا نوابهم ولا غلمانهم الى طلب قديم من ذلك ولاجديد، ولا منكسر ولا ماض، ولا حاضر ولا مستقبل على اختلافه.

وتقرر ان تكون جميع المباحات من الجهتين مطلقة مما يختص



بالمملكة الحمصية، يسترزق بها الصعاليك. وان نواب الملك الظاهر يحمونهم من أذية المسلمين من بلاده المذكورة، وان نواب بيت الاستبار يصونونهم ويحرسونهم ويحمونهم من النصارى والفرنج من جميع هذه البلاد الداخلة في هذه الهدنة، ولا يتعرض احد من المسلمين كافة من هذه البلاد الداخلة في [هذه] الهدنة [الى البلاد الاسبتارية] باذية ولا إغارة، ولا بتعرض احد من جميع الفرنجة من هذه البلاد الداخلة في هذه الهدنة بحدودها الجارية في يد نواب الاسبتار وفي ايديهم، الى بلاد الملك الظاهر بأذية ولا اغارة.

وعلى انه متى دخل في بلاد المناصفات احد ممن يجب عليه العداد وامتنع من ذلك، وكان عداد احدى الجهتين حاضرا: إما عداد ديوان الملك الظاهر، إما عداد بيت الاسبتار، فلنائب العداد الحاضر من إحدى الجهتين ان يأخذ من ذلك الشخص الممتنع عن العداد او الخارج من بلد المناصفات رهنا بمقدار ما يجب عليه من العداد، بحضور رئيس من رؤساء بلد المناصفات، ويترك الرهن عند الرئيس وديعة إلى ان يحضر النائب الآخر من الجهة الاخرى، ويوصل الى كل من الجهتين حقه من العداد.

وان خرج احد ممن يجب عليه العداد، وعجز النائب الحاضر عن أخذ رهنه: فان دخل بلدا من بلاد الملك الظاهر، كان على النواب ايصال بيت الاسبتار الى حقهم مما يجب على الخارج من العداد. وكذلك ان دخل الخارج المذكور الي بيت الاسبتار، كان عليهم ان يوصلوا الى نواب الملك الظاهر حقهم مما يجب على الخارج من



العداد. وكذلك يعتمد ذلك في المملكة الحموية وبلاد الدعوة المحروسة.

وعلى ان التجار والسفار والمترددين من جميع هذه الجهات المذكورة يكونون آمنين من الجهتين: الجهة الاسلامية، والجهة الفرنجية والنصرانية، في البلاد التي وقعت هذه الهدنة عليها - على النفوس والاموال والدواب وما يتعلق بهم، يحميهم السلطان ونوابه، ويتعاهدون البلاد الداخلة في هذه الهدنة المباركة -الواقع عليها الصلح وفي بلد المناصفات - من جميع المسلمين. ويحميهم بيت الاسبتار في بلادهم الواقع عليها الصلح وفي بلد المناصفات - من الفرنج والنصارى كافة.

وعلى ان يتردد التجار والمسافرون من جميع المترددين على اي طريق اختاروه من الطرق الداخلة في عقد هذه البلاد الداخلة في هذه الهدنة المباركة المختصة بالملك الظاهر، وبلاد معاهديه، وبلاد المناصفات، وخاص بيت الاسبتار والمناصفات؛ يكون الساكنون والمترددون في الجهتين أمنين مطمئنين على النفوس والاموال؛ تحمي كل جهة الجهة الاخرى.

وعلى ان ما يختص بكل جهة من هذه الجهات: الاسلامية، والفرنجية الاسبتارية. لا يكون عداد على ما لها في المناصفات: من الدواب والغنم والبقر والجمال وغيرها، على العادة المقررة في ذلك.

وعلى ان اطلاق الرؤساء يكون باتفاق من الجهتين: الاسلامية، والفرنجية الاسبتارية. ومتى وقعت دعوى على الجهة الأخرى، وقف امرها في الكشف عنها اربعين يوما، فان ظهرت اعيدت على صاحبها،



وان لم تظهر حلف ثلاثة نفر ممن يختارهم صاحب الدعوى على ما يعلمونه في تلك الدعوى، وان ظهرت بعد اليمين اعيدت الى صاحبها، وان كان قد تعوض عنها اعيد العوض.

وعلى ان يكشفوا عن الاخيذة بجهدهم وطاقتهم. ومتى تحققت اعيدت الى صاحبها؛ فان حلفوا يبرءون من الدعوى، وان ظهرت بعد اليمين أعيدت على صاحبها، وان امتنع المدعى عليه من اليمين حلف المدعى ، ولا يستحق عوض ما عدم من كل شيء مثله. وكذلك يجري الامر قي القتل: عوض الفارس فارس، وعوض الراجل راجل، وعوض البركيل بركيل، وعوض التاجر تاجر، وعوض الفلاح فلاح. واذا انقضت الاربعون يوما المذكورة لكشف الدعوى ولم يحلف المدعى عليه للمدعى وجب عليه العوض حتى يرد، وان رد اليمين على المدعى ومضى على ذلك عشرة ايام، ولم يحلف صاحب الدعوى بطلت دعواه وحكمها، وان حلف أخذ العوض.

ومتى هرب من إحدى الجهتين إلى الأخرى أحد، ومعه مال لغيره أعيد جميع ما معه، وكان الهارب مخيرا بين المقام والعود. وان هرب عبد وخروج عن دينه، اعيد ثمنه، وان كان باقيا على دينه أعيد.

وعلى ان لايدخل أحد من القاطنين في بلد المناصفات: من الفلاحين والعرب والتركمان وغيرهم، الى بلاد الفرنج والنصارى كافة لإغارة ولا أذية بعلم الاسبتار ولا رضاهم ولا إذنهم.

وعلى أن الدعاوي المتقدمة علي هذا الصلح يحمل أمرها على شرط المواصفة التي بين الملك الظاهر وبين معاهديه وبين بيت الاسبتار.





وعلى ان هذه الهدنة تكون ثابتة مستقرة، لا تنقض بموت أحد من الجهتين، ولا وفاة ملك ولا مقدم، إلى آخر المدة المذكورة، وهي: عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، أولها يوم تاريخه.

وعلى ان نواب الملك الظاهر ومعاهديه لا يتركون أحدا من التركمان، ولا من العربان، ولا من الاكراد، يدخل بلاد المناصفات بغير اتفاق من بيت الاسبتار او رضاه، إلا أن يكفلوه على نفوسهم في هذه الطوائف المذكورة، ويعلموا حاله، لئلا تبدو منهم أذية او ضرر او فساد ببلد المناصفات وببلد النصارى. ولنواب مولانا السلطان ان تتركهم على شرط انهم يعلم بهم بيت الاسبتار في غد نزولهم المكان، ان كان المكان قريبا. وإن ظهر منهم فساد كان النواب يجاوبون بيت الاسبتار.

وعلى ان المهادنة بحدودها يكون الحكم فيها كما في المناصفات، والحدود في هذه البلاد جميعها تكون على ما تشهد به نسخ الهدن، وما استقر الحال عليه الى آخر وقت.

وعلى ان تخلى أمور المملكة الحمصية على ما كان مستقرا في الايام الأشرفية، على ما قرره الامير علم الدين «سنجر».

هذا ما وقع الاتفاق والتراضي عليه من الجهتين. وبذلك جرى القلم الشريف السلطاني الملكي الظاهري: حجة بمقتضاه، وتأكيدا لما شرح أعلاه. كتب في تاريخ كذا وكذا.



ملحق رقم (٢)

نسخة الهدنة التي عقدت بين السلطان الملك الظاهر بيبرس وبين ملكة بيروت من البلاد الشامية، سنة ٦٦٧هـ، من كتاب القلقشندي ، صبح الأعشى، الجزء ١٤،ص ٣٩ـ٤٢.

وهذه نسخة هدنة من هذا النمط، عقدت بين السلطان الملك الظاهر «بيبرس» أيضا، وبين ملكة بيروت من البلاد الشامية، في شهور سنة سبع وستين وستمائة حين كانت بيدها، وهي: استقرت الهدنة بين الملك الظاهر ركن الدين «بيبرس» وبين الملكة الجليلة المصونة الفاخرة، فلانة ابنة فلان. مالكة بيروت وجميع جبالها وبلادها التحتية مدة عشر سنين متوالية، أولها يوم الخميس سادس رمضان سنة سبع وستين وستمائة الموافق لتاسع أيار سنة ألف وخمسمائة وثمانين يونانية - على بيروت واعمالها المضافة اليها، الجاري عادتهم في التصرف فيها في ايام الملك العادل، ابي بكر بن أيوب، وايام ولده الملك المعظم عيسى، وايام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز . والقاعدة المستقرة في زمنهم إلى آخر الايام الظاهرية، بمقتضى الهدنة الظاهرية. وذلك مدينة بيروت واماكنها المضافة اليها: من حد جبيل الى حد صيدا، وهي المواضع الآتي ذكرها: جونية بحدودها، والعذب بحدودها، والعصفورية بحدودها، وانطلياس بحدودها، والحديدة بحدودها، وحسوس بحدودها، والبشرية بحدودها، والداكونة وبرج



قراجار بحدودها، والنصرانية بحدودها، وجلدا بحدودها، والناعمة بحدودها، ورأس الفيقة، والوطاء المعروف بمدينة بيروت، وجميع ما في هذه الاماكن من الرعايا والتجار، ومن سائر اصناف الناس أجمعين، والصادرين منها والواردين اليها من جميع أجناس الناس، والمترددين الى بلاد السلطان فلان، وهي: الحميرة وأعمالها وقلاعها وبلادها وكل ما هو مختص بها، والمملكة الانطاكية وقلاعها وبلادها، وجبلة واللاذقية وقلاعها وبلادها، وحمص المحروسة وقلاعها وبلادها وما هو مختص بها، ومملكة حصن عكا وما هو منسوب اليه، والمملكة الحموية وقلاعها وبلادها وما هو مختص بها، والمملكة الرحبية وما هو مختص بها من قلاعها وبلادها، والمملكة البعلبكية وما هو مختص بها من قلاعها وبلادها، والمملكة الدمشقية وما هو مختص بها من قلاعها وبلادها ورعاياها وممالكها، والمملكة الشقيفية وما يختص بها من قلاعها وبلادها ورعاياها، والمملكة القدسية وما يختص بها ، والمملكة الكركية والشوبكية وما يختص بها من القلاع والبلاد والرعايا، والمملكة النابلسية، والمملكة الصرخدية، ومملكة الديار المصرية جميعها: بثغورها، وحصونها، وممالكها، وبلادها، وسواحلها، وبرها وبحرها، ورعاياها وما يختص بها، والساكنين في جميع هذه الممالك: المذكورة ومالم يذكر من ممالك السلطان وبلاده، وما سيفتحه الله تعالى على يده ويد نوابه غلمانه يكون داخلا في هذه الهدنة المباركة، ومنتظما في جملة شروطها، ويكون جميع المترددين من هذه البلاد واليها آمنين مطمئنين على نفوسهم واموالهم وبضائعهم،



من الملكة فلانة وغلمانها، وجميع من هو في حكمها وطاعتها: برا وبحرا، ليلا ونهارا، ومن مراكبها وشوانيها. وكذلك رعية الملكة فلانة وغلمانها يكونون آمنين على أنفسهم واموالهم وبضائعهم من السلطان ومن جميع نوابه وغلمانه ومن هو تحت حكمه وطاعته: برا وبحرا، ليلا ونهارا: في جبلة ، واللاذقية، وجميع بلاد السلطان، ومن مراكبه وشوانيه.

وعلى ان لا يجدد على احد من التجار المترددين رسم لم تجربه عادة، بل يجرون على العوائد المستمرة، والقواعد المستقرة من الجهتين. وان عدم لاحد من الجانبين مال، او اخذت اخيذة، وصحت في الجهة الاخرى ردت ان كانت موجودة، او قيمتها ان كانت مفقودة. وان خفى امرها كانت المدة للكشف اربعين يوما، فان وجدت ردت، وان لم توجد حلف والى تلك الولاية المدعى عليه، وحلف ثلاثة نفر ممن يختارهم المدعى، وبرئت جهته من تلك الدعوى. فان ابى المدعى عليه عن اليمين حلف الوالي المدعى، وأخذ ما يدعيه. وان قتل احد من الجانبين خطأ كان او عمداً، كان على القاتل في جهته العوض عنه نظيره: فارس بفارس، وبركيل ببركيل، وراجل براجل، وفلاح بفلاح. وان هرب احد من الجانبين الي الجانب الآخر بمال لغيره، رد من الجهتين هو والمال، ولا يعتذر بعذر.

وعلى ان تاجر فرنجي صدر من بيروت الى بلاد السلطان يكون داخلا في هذه الهدنة، وان عاد الى غيرها لا يكون داخلا في هذه الهدنة.



وعلى ان الملكة فلانة لا تمكن احدا من الفرنج على اختلافهم من قصد بلاد السلطان من جهة بيروت وبلادها، وتمنع من ذلك وتدفع كل متطرق بسوء، وتكون البلاد من الجهتين محفوظة من المتجرمين المفسدين.

وبذلك انعقدت الهدنة للسلطان، وتقرر العمل بهذه الهدنة والالتزام بعهودها والوفاء بها الى آخر مدتها من الجهتين: لا ينقضها مرور زمان، ولا يغير شروطها حين ولا أوان، ولاتنقض بموت أحد من الجانبين. وعند انقضاء الهدنة تكون التجار آمنين من الجهتين مدة اربعين يوما، ولا يمنع أحد منهم من العود إلى مستقر، وبذلك شمل هذه الهدنة المباركة الخط الشريف حجة فيها، والله الموفق، في تاريخ كذا وكذا.





ملحق رقم (٣)

نسخة الهدنة التي عقدت بين الملك الظاهر بيبرس وولده الملك السعيد وبين الفرنج الاسبتارية في سنة ٦٦٩هـ. من كتاب ، القلقشندي،صبح الاعشى »، الجزء ١٤، ص ٤٢-٥١.

وهذه نسخة هدنة عقدت بين السلطان الملك الظاهر «بيبرس» وولده الملك السعيد، وبين الفرنج الاسبتارية، في سنة تسع وستين وستمائة، وهي: استقرت الهدنة المباركة بين السلطان الملك الظاهر ركن الدين «بيبرس الصالحي» قسيم أمير المؤمنين وولده الملك السعيد ناصر الدين «محمد بركه خاقان» خليل امير المؤمنين، وبين المباشر المقدم الجليل افريز أولدكال مقدم جميع بيت اسبتار سرجوان بالبلاد الساحلية، وبين جميع الاخوة الاسبتارية، لمدة عشر سنين كوامل متواليات متتابعات، وعشرة اشهر، اولها مستهل رمضان سنة تسع وستين وستمائة للهجرة النبوية المحمدية، الموافق للثامن عشر من نيسان سنة الف وخمسمائة واثنتين وثمانين للاسكندر بن فيلبس اليوناني - على ان تكون قلعة لد بكاملهاوربضها وأعمالها، وما هو منسوب اليها ومحسوب منها، بحدودها المعروفة بها من تقادم الزمان، وما استقر لها الآن، وما يتعلق بذلك: من المواضع، والمصايد، والملاحات، والبساتين، والمعاصر، والطواحين، والجزائر: سهلها وجبلها، وعامرها، ودائرها، وما يجري بها من انهار، وينبع بها من

عيون، وما هو مبني بها من عمائر، وما استجد بها من القراح وغير ذلك، وكل ما عمر في اراضي المناصفات على دورها وانهارها، وما بحدود ذلك من نهر بدرة الي الجهة الشمال، وما استقر لبلدة من هذه الجهات الى آخر الايام الناصرية من الحدود المعروفة بها والمستقرة لهاو وحصن برغين وما ينسب الى ذلك من البلاد والضياع والقرى التي كانت مناصفة - تكون جميع بلدة وهذه الجهات خاصا الى آخر الزائد للملك الظاهر، ولا يكون لبيت الاسبتار ولا للمرقب فيها حق ولا طلب بوجه ولا سبب الى حين انقضاء مدة الهدنة وما بعدها إلى آخر الرائد، ولا لاحد من جميع الفرنجة فيها تعلق ولا طلب بوجه ولا سبب. وكذلك مهما كان مناصفة، كقلعة العليقة في بلادها لبيت الاسبتار، يكون ذلك جميعه للديوان المعمور والخاص الشريف، ولا يكون للمرقب فيها شيء ولا لبيت الاسبتار.

وكذلك كل ما هو في بلاد الدعوة المباركة جميعها وقلاعها من القرى - لا تكون فيها مناصفة لبيت الاسبتار ولا للمرقب، ولا حق، ولا رسم، ولا شرط، ولا طلب في جميع بلاد الدعوة: مصياف المحروسة، والكهف، والمنيقة، والقدموس، والخوابي، والرصافة، والعليقة. وكل ما هو في هذه القلاع وفي بلادها من مناصفة، يكون ذلك خاصا للملك الظاهر، وليس لبيت الاسبتار ولا الفرنجة فيه حديث ولا طلب.

وعلى ان تكون بلاد المرقب وحدودها من نهر لد ومقبلا ومغربا الى حدود بلاد مرقبه المعروفة بها، الداخل جميعها في الفتوح الشريف، واستقرارها بحكم ذلك في الخاص المبارك الشريف، وحد البيوت



المحاذية لسور الربض، تستقر جميعها مناصفة بين السلطان وبين بيت الاسبتار نصفين بالسوية، وما في جميع هذه البلاد: من بساتين، وطواحين، وعمائر، ومصايد، وملاحات، ووجوه العين، والمستغلات الصيفية والشتوية، والقطاني، والحقوق المستخرجة، وما هو مزروع من الفدن لاهل الربض وبيادرها: يكون ذلك مناصفة بين السلطان وبين بيت الاسبتار سرجوان بالسوية نصفين.

وما هو داخل الربض وداخل المرقب، فانه مطلق من الملك الظاهر للمقدم الكبير افريز أولدكال مقدم بيت الاسبتار سرجوان وخيالته، ورجاله وحمالته ورجالته ورعيته، برسم إقامتهم وسكانهم من داخل الاسوار، وعن سور الربض المحاذية للسور تكون مناصفة جميعها، بما فيه من حقوق طرقات واحكار، ومراعي المواشي على اختلاف اصوافها واوبارها، وجميع السخريات، وكل ارض مزروعة او غير مزروعة مهما أخذ منه حق او عداد يكون مناصفة.

وكل ما هو من المواني والمراسي البحرية المعروفة جميعها بحصن المرقب: من مسنا بلدة الى مينا القنطرة المجاورة لحدود مرقبة - تكون هي وما يتحصل منها من الحقوق المستخرجة من الصادرين والواردين والتجار، وما ينعقد عليه ارتفاعها، وتشهد به الحسبانات - جميعه مناصفة. وما يدخل في ذلك من أجناس البضائع على اختلافها يؤخذ الحق [منه] مناصفة على العادة الجارية من غير تغيير لقاعدة من حين أخذ بيت الاسبتار المرقب الى تاريخ هذه الهدنة المباركة مناصفة على العادة الجارية، بل تجري التجار في الحقوق



على عاداتهم في البضائع التي يحضرونها والمتجر كائنا من كان.

يعتمد ذلك في كل ما يصل للمترددين والمقيمين بالقلعة والربض: من عامة وغير عامة، وخيالة وغير خيالة، على اختلاف اجناسهم، خلا ما يصل للاخوة ولغلمانهم المعروفين بالاخوة الاسبتارية من الحبوب والمئونة والكسوة والخيل التي هي برسم ركوبهم خاصة، لا يكون عليها حق، بشرط انه لا يكون فيها للتجار شيء من ذلك، وما خلا ذلك جميعه يؤخذ منه مناصفة على ما شرحناه.

وعلى انه لا يحمي احد من الاخوة الخيالة، والوزراء، والكتاب، والنواب، والمستخدمين شيئا على اسم بيت الاسبتار، ليستطلق الحق ويمنع من استيدانه، ولو انه أقرب اخ الى المقدم او ولد المقدم. اذا ظهر منه خلاف ما وقع عليه الشرط، اخذ جميع ماله مستهلكا للجهتين: للديوان السلطاني المعمور، ولبيت الاسبتار، ان كان خارجا من البحر او نازلا الى البحر، صادرا وواردا، وكذلك في البر صادرا وواردا بعد المحافظة على ذلك وصحته.

وعلى ان نواب المباشر المقدم الكبير لبيت الاسبتار، وولاته وكتابه ومستخدميه وغلمانه، يكونون آمنين مطمئنين على نفوسهم وأموالهم وجميع ما يتعلق بهم. وكذلك غلماننا وولاتنا ونوابنا ومستخدمونا كتابنا ورعايا بلادنا يكونون آمنين مطمئنين على نفوسهم وأموالهم، متفقين على مصالح البلاد واخذ الحقوق، وسائر المقاسمات والطرقات والبساتين والطواحين، والحقوق المقررة على الفدن على اختلاف اجناسها. وكذلك الرأسة واستخراج وجوه العين، والحبوب





والتصاريف الجاري بها العادة المقررة على الفدن، من جميع ما يتعلق بها.

وعلى ان جميع الضمانات يكون نواب السلطان ونواب بيت الاسبتار متفقين جملة على ذلك، لا ينفرد احد منهم بشيء الا باتفاق وتنزيل في دفاتر الديوان المعمور وديوان بيت الاسبتار، ولا يطلق ولا يحبس إلا باتفاق من الجهتين، ولا ينفرد واحد منهم دون آخر.

وعلى ان اي مسلم تصدر منه أذية يحكم فيه بما يقتضيه الشرع الشريف في تأديبه، يعتمد ذلك فيه نائبنا: من شنق يجب عليه، او قطع. او ادب بحكم الشرع الشريف: من شنق، وقطع، وكحل اعين، بحيث لا يعمل ذلك إلا بحضور نائب من جهة بيت الاسبتار، حاضر يعاين ذلك بعينه، ويكون قد عرف الذنب وتحققه. وان كان ذنبه يستوجب جناية او غرامة دراهم او ذهب او مواش او غير ذلك على اختلاف اجناسه، يكون ما يستأدى مناصفة للديوان المعمور ولبيت الاسبتار وصاحب المرقب. فان كان فيها قماش وبضائع على اختلاف اجناسه، وصاحبه مسلم، يأخذ بضاعته من غير اعتراض من الجهتين بعد أداء الحق للديوان المعمور ولبيت الاسبتار. وان لم يعرف صاحب البضاعة وكانت لمسلم، أعيدت للخزانة السلطانية ولا يكون لبيت الاسبتار فيها تعلق. وان كان صاحب البضاعة نصرانيا علي اختلاف اجناس النصارى، تؤخذ بضاعته من غير اعتراض من جهتنا، بعد أداء الحق. وان لم يعرف صاحب البضاعة، وكانت لنصراني، تبقى تحت يد بيت الاسبتار، خلا من كان من بلاد مملكة السلطان على



اختلاف دينه: ان كان نصرانيا او ذميا، على اختلاف جنس دينه، ليس لبيت الاسبتار عليهم اعتراض، ويحمل ذلك جميعه على اختلاف اجناس البضائع للديوان المعمور.

وعلى انه متى انكسر مركب، وظهر الى بر الموانيء بضاعة، وقصد صاحبه شيله الى أي جهة يختارها في البر والبحر، ولا يتبع، فيؤخذ الحق منه: ان باع يؤخذ الحق ، وان حمل يؤخذ الحق، ويكون الحق للجهتين وهو الحق المعروف الجاري به العادة.

وعلى ان التجار السفارة والمترددين بالبضائع من بلاد المسلمين والنصارى متى ما خرجوا من الموانى المحدودة اعلاه يتوجهون بخفارة الجهتين من غير الحق: لا يتناول من الخفارة شيء منسوب الى نفوسهم الى ان يخرجهم ويحضرهم الى بر حدود المرقب آمنين مطمئنين تحت حفظ الجهتين. ومتى وصل التجار من مملكة السلطان الى بلاد المرقب وموانيها، فالترتيب على الخفارة من الجهتين، مع تدرك الرؤساد الحفظ للطرقات صادرا وواردا، بحيث انهم يحضرون الى بلاد المرقب، وإلى الموانيء المحدودة أعلاه، طيبين على ارواحهم واموالهم بالخفارة من الجهتين، على ما شرحناه.

وعلى ان غلمان المباشر المقدم لبيت الاسبتار والاخوة والخيالة والرعية المقيمين بقلعة المرقب والربض، يكونون آمنين مطمئنين على انفسهم واموالهم ومن يلوذ بهم ويتعلق ، في حال صدورهم وورودهم الى بلادنا الجارية في مملكتنا في البر، منا ومن نوابنا بالمملكة والبلاد الجارية في حكمنا، ومن ولدنا الملك السعيد، ومن أمرائنا وعساكرنا



المنصـورة. وان قتل قتـيل او اخذت أخيـذة في حدود المناصف ببلاد المرقب، فيقع الكشف عن ذلك عشرين يوما: فان وجد فاعل ذلك، يؤخذ الفاعل بذنبه. وان لم يظهر فاعل ذلك مدة عشرين يوما فيمسك رؤساء مكان قطع الطريق وأخذ الاخيـذة، وقـتل قـتيل، ان كـان أخذ وقـتل - مكان قتل القتيل او أخذ الأخيذة - أقرب القرباء الى الذي قطع عليه الطريق او قتل قتيلا. فان خفي الفاعل لذلك، وعجز عن إحضـاره بعد عشرين يوما، يلزم اهل نواب الجهتين من القرباء الاقرب لذلك المكان بالف دينار صـورية: للديوان السلطاني النصف، ولنقـيب الاسـبـتـار النصف، ولا تتكاسل الولاة في طلب ذلك، ويكون طلبـه يدا واحدة، ولا يختص الواحـد دون الآخـر. ولا يحـابى أحد منـهم الفـلاح في هذا او غيره في مصلحة عمارة البلاد، واستـخراج الحقوق، ومقاسمة الغلال، وطلب المفسدين ليلا ونهارا.

وعلى ان لا تغير الهدنة المباركة بامر من الامـور، لا من جـهتنا ولا من جهة ولدنا الملك السعيد، الى انقضـاءمدتها المعينة اعلاه وفروغـها. ولا تـتـغير بتـغيـر المقدم المبـاشـر لبيت الاسـبـتـار الحـاكم على المرقب وغيره. واذا جـرت قـضيـة في أمر من الأمـور يعرفـهم نوابنـا، ويحـقق الكشف الى مدة اربعين يوما، فمن يكون للبداية يخرج منها على من يثبت (؟) ويكون قد عرف دينه الذي بدا من جهة كل واحد. واذا تغير النواب بالمرقب وحضر نائب مستجد يعمد ما تضمنته هذه الهدنة، ولا يخرج عن هذه المواصفة. واذا تسحب من المسلمين أحد على اختلاف أجناسه، ان كان مملوكا او غير مملوك، او معتوقا او غير معتوق، او





كائنا من كان من المسلمين على اختلاف منازلهم، وان كان غلاما او غير غلام - يرتد بجميع ما يوجد معه، ان كان قليلا او كثيرا يرد. ولو ان المتسحب دخل الكنيسة وجلس فيها يمسك بيده ويخرج ويسلم لنوابنا بجميع ما معه، وان كان خيلا او قماشا او دراهم او ذهبا وما يتعامل الناس به، يسلم بما معه الى نوابنا على ما شرحناه. وكذلك اذا تسحب احد من جهتهم من الفرنج او النصارى الى أبوابنا الشريفة، او وصل الى جهة نوابنا يمسك ويسلم بما يحضرمعه: من الخيل والاقمشة والعدة وجميع ما يصل ان كان قليلا او كثيرا، يمسكه نوابنا ويسلمون ذلك بما معه لنائب المقدم الماستر المقيم بالمرقب، وأخذوا الخطوط بذلك بتسليمه بما حضر معه.

وعلى انهم لا يكون لهم حديث مع قلعة العليقة، والرعية الذين فيها، ولا مع نواب ابن الرديني المقيمين فيها : لا بكتاب، ولا بمشافهة، ولا برسالة، ولا بقول، ولا يطلع احد من جهتهم اليهم، ولا يمكن احد من الحضور اليهم، [والوصول] الى جهتهم من القلعة المذكورة، ولا تسير اليهم مئونة ولا تجارة ولا جلب على اختلاف أجناسه، ولا تكون بينهم معاملة. وان حضر احد من جهة قلعة العليقة اليهم يمسكون ويسلمون لنوابنا ويأخذوا بذلك خطوطهم.

وعلى انهم لا يجددون عمارة قلعة، ولا في القلعة عمارة، ولا في البدنة ولا في ابراجها، ولا [يعتمدون] إصلاح شيء منها إلا اذا عاينه نوابنا اوأبصروا انه يحتاج الى الضرورة في ترميم يرممونه بعد ان يعانيه نوابنا من هذا التاريخ، ولا يجددون عمارة في ربضها، ولا في



سورها، ولا في ابراجها، ولا يجددون حفر خندق، وعمارة خندق، او تجدد بناية خندق او قطع جبل، او تحصن عمارة، او تحصن بقطع جبل، منسوبا لتحصين يمنع او يدفع. ولم نأذن لهم بسوى البناية [على] أثر الدور التي احرقت عند دخول العساكر صحبة الملك السعيد. وقد أذنا لهم في عمارة باطن الربض على اثر الاساس القديم.

وعلى ان صهيون واعمالها، ورومه (؟) واعمالها، والقليعة واعمالها، وعيدوب واعمالها، الجارية تحت نظير الامير سيف الدين محمد بن عثمان صاحب صهيون - يجري حكم هذه البلاد المختصة به حكم بلادنا في المهادنة، بحكم ان بلاده المذكورة جارية في ممالكنا الشريفة.

وعلى انه لا يمكن بيت الاسبتار من دخول رجل غريبة في البر ولا في البحر الى بلادنا بأذية ولا ضرر يعود على الدولة، وعلى بلادنا حصوننا ورعيتنا، إلا أن يكونوا يدا غالبة، صحبة ملك متوج.

وعلى ان البرج الداخل في المناصفة، وهو برج معاوية الذي عند المحاصة الداخلة في مناصف المرقب الآن، يخرب ما يخصنا منه، وهو النصف من البرج المذكور أعلاه. وان الجسر المعروف بجسر بلدة لم يكن لبيت الاسبتار فيه شيء من البرين، وأنه خالص للديوان المعمور دون بيت الاسبتار. وأن الدار المستجدة عمارتها بقلعة المرقب برسم الماستر المقدم الكبير، الذي هو عايز تكميل عمارة سقف القبو بالحجارة والكلس، لا تكمل عمارتها، ويبقى على حاله، وهو في وسط



القلعة الظاهر منه قليل الى البر الشرقي وهو المذكور أعلاه.

وعلى ان نواب الاسبتار لا يخفون شيئا من مقاسمات البلاد ولا شيئا من حقوقها الجاري بها العادة ان بيت الاسبتار يستخرجونه ولا يخفون منه شيئا، وكل ما كان يستأدى من البلاد في أيدي الاسبتار قبل هذه الهدنة يطلعون نوابنا عليه ولا يخفون منه شيئا قليلا ولا كثيرا من ذلك.

وعلى أن السلطان يأمر نوابه بحفظ مناصفات بلاد المرقب الداخلة في هذه الهدنة، من المفسدين والمتلصصين والحرامية ممن هو في حكمه وطاعته. وكذلك الماستر المقدم افريز أولدكال يلزم ذلك من الجهة الأخرى. ومتى وقع -والعياذة بالله- فسخ بسبب من الاسباب، كان التجار والسفار آمنين من الجهتين إلى ان يعودوا بأموالهم، ولا يمنعون من السفر الى اماكنهم من الجهتين، وتكون النهاية لهم أربعين يوما. وتكون هذه الهدنة منعقدة بشروطها المذكورة، مستقرة بقواعدها المسطورة للمدة المعينة، وهي: عشر سنين وعشرة أشهر كوامل، اولها مستهل رمضان سنة تسع وستين وستمائة إلى آخرها، متتابعة متوالية، ولا تفسخ بموت أحد من الجهتين، ولا بعزل وال وقيام غيره موضعه، ولا زوال رجل غريبة، ولا حضور يد غالبة، بل يلزم كلا من الجهتين حفظها الى آخرها، ومن تولى بعد الآخر حفظها إلى آخرها، بالشروط المشروطة فيها أولا وآخرا. والخط أعلاه، حجة بمقتضاه، ان شاء الله تعالى.

ملحق رقم (٤)

هدنة متملك طرابلس

نسخة الهدنة التي عقدت بين السلطان المنصور قلاوون وبين بيمند ملك الفرنج في طرابلس في سنة ٦٨٠هـ. من كتاب ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص٢١٠-٢١٥.

تقررت الهدنة مع متملك طرابلس الشام «بيمند بن بيمند» -ملك الفرنج- لمدة عشر سنين كوامل متواليات، اولها السابع والعشرين من شهر ربيع الاول من هذه السنة (٦٨٠هـ - ١٥ يوليو ١٢٨١م) - الموافق للخامس من شهر تموز سنة ألف وخمسمائة واثنين وتسعين للاسكندر اليوناني - وذلك على بلاد الملك المنصور، والملك الصالح ولده قريبها وبعيدها، وسهلها وجبلها، غورها ونجدها، قديمها ومستجدها، وما هو مجاور لطرابلس، ومجاور لها من المملكة البعلبكية وجبالها، وقراها الرحلية والجبلية، وجبال الضنين والقصبين، وما هو من حقوق ذلك، وعلى الفتوحات المستجده، وهي الأكراد وافليس والقليعات، وصافينا وميعار، واطليعا وحصن عكار ومرقية، ومدينتها وبلادها ومناصفاتها، وهي بلاد الملكية.

وجميع بلاد هذه الجهات التي ذكرناها ومناصفات المرقب التي دخلت في الصلح مع بيت الاسبتار وبلده ومدينته، وما هو محسوب منها ومعروف بها من حصون وقرى وبلاد الست وبلاطنس وبلادها،



وجبلة ولاذقية، وأنطاكية والسويدية، وبلاد ذلك، وحصن بغراس وحصن ديركوش، وصهيون، وبرزية، وحصون الدعوة، وغير ذلك من سائر الممالك الاسلامية، وما سيفتحه الله تعالى على يد الملك المنصور، ويد ولده. وعلى الموانيء والسواحل والأبراج، وغير ذلك. وعلى بلاد الإبرنس، وعلى طرابلس. وما هو داخل فيها وأنفه البترون، وجبيل وبلاد ذلك. وعرقا وبلادها؛ المعينة في الهدنة وعدتها أحد وخمسون ناحية. وما هو للخياله، والكنايس وعدتها أحد وعشرون بلدا. وما هو للفارس «روجار دلالولاي» من قبلي طرابلس يكون مناصفة. وعلى ان يستقر برج اللاذقية، وميناؤها في استخراج الحقوق والجبايات والغلات وغيرها مناصفة، ويستقر مقامهم باللاذقية على حكم شروط الهدنة الظاهرية الركينة، وعلى ان يكون على جسر ارتوسية من غلمان السلطنة لحفظ الحقوق ستة عشر نفرا، وهم المشد والشاهد والكاتب، وثلاث غلمان لهم وعشر رجالة في خدمة المشد. ويكون لهم في الجسر بيوت يسكنوها، ولا يحصل منهم أذية لرعية الإبرنس، وإنما يمنعوا ما يجب منعه من الممنوعات، ولا يمنعوا ما يكون من عرقا وبلادها من الغلات الصيفية والشتوية وغيرها لا يعارضهم المشد فيه، وما عدا ذلك مما يعتبر من بلاد السلطان يؤخذ عليه الحقوق.

ولا يدخل الى طرابلس غلة محمية للإبرنس، ولا غيره إلا ويؤخذ الموجب عليها، وعلى ان الإبرنس لا يستجد خارج مما وقعت الهدنة عليه بناء يدفع ولا يمنع. وكذلك السلطان لا يستجد بناء قلعة ينشئها

من الاصل في البلاد التي وقعت الهدنة عليها، وعلى الشواني من الجهتين ان تكون آمنة كل طائفة من الأخرى، ولا ينقض ذلك بموت أحدهما ولا بتغييره وأن يحسن لأحد من أعداء السلطان ولا يتفق عليه برمز ولا خط، ولا مراسلة ولا مكاتبة ولا مشافهة.

وتقررت الحال على ذلك، وعادت الرسل. وتوجه الامير فخر الدين أياز المقري الحاجب ليحلف الفرنج ومقدم الاسبتار على ما انعقد عليه الصلح فحلفهم.

نسخة اليمين التي حلف عليها السلطان الملك المنصور في هدنة عكا

اقول وأنا ... والله، والله، وبالله، وبالله، وبالله، والله، وتالله، وتالله، وتالله، والله العظيم الطالب الغالب، الضار النافع، المدرك المهلك، عالم ما بدا وما خفا، عالم السر والعلانية، الرحمن الرحيم، وحق القرآن ومن أنزله، ومن أنزل عليه، وهو محمد بن عبدالله -صلى الله عليه وسلم- وما يقال فيه من سورة سورة، وآية آية، وحق شهر رمضان: انني أفي بحفظ هذه الهدنة المباركة، التي استقرت بيني وبين مملكة عكا، والمقدمين بها على عكا وعثليث، وصيدا وبلادها، التي تضمنتها هذه الهدنة، التي مدتها عشرة سنين، وعشرة أشهر، وعشرة أيام، وعشرة ساعات، أولها يوم الخميس خامس شهر ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة من أولها إلى آخرها. وأحفظها والتزم



بجميع شروطها المشروحة فيها، وأجرى الامور على أحكامها الى انقضاء مدتها، ولا أتأول فيها ولا في شيء منها، ولا أستفتي فيها طلبا لنقضها مادام الحاكمون بمدينة عكا وصيدا وعثليث، وهم : كافل المملكة بعكا، ومقدم بيت الديوية، ومقدم بيت الاسبتار، ونايب مقدم بيت اسبتار الأمن الآن، ومن يتولى بعدهم في كفالة مملكة، أو تقدم بيت بهذه المملكة المذكورة. والذين باليمين التي يحلفون بها لي، ولولدي الملك الصالح ولاولادي على استقرار هذه الهدنة المحررة الآن عاملين بها وبشروطها، المشروحة فيها الى انقضاء مدتها، ملتزمين بأحكامها، وان نكثت في هذه اليمين فيلزمني الحج الى بيت الله الحرام بمكة المشرفة حافيا حاسرا ثلاثين حجة. ويلزمني صوم الدهر كله، إلا الأيام المنهي عنها.

ويذكر بقية شروط اليمين. والله على ما نقول وكيل.

نسخة يمين الفرنج التي حلفوا بها في هذه الهدنة

والله، والله، والله، وبالله، وبالله، وبالله، وتالله، وتالله، وتالله، وحق المسيح، وحق المسيح، وحق المسيح وحق الصليب، وحق الصليب، وحق الأقانيم الثلاثة من جوهر واحد، المكنى بها عن الأب والابن والروح القدس، اله واحد. وحق اللاهوت المكرم، الحال في الناسوت المعظم. وحق الانجيل المطهر، وما فيه. وحق الأناجيل الأربعة التي نقلها متى ومرقس ولوقا ويوحنا. وحق صلواتهم وتقديساتهم. وحق التلاميذ الانثى عشر والاثنين وسبعين. والثلاثمائة وثمانية عشر



المجتمعين بالبيعة. وحق الصوت الذي نزل من السماء على نهر الاردن فزجره. وحق الله منزل الانجيل على عيسى بن مريم روح الله وكلمته وحق الست مارية ام النور مارت مريم. ويوحنا المعمودين ومرتمان ومرتماني. وحق الصوم الكبير وحق ديني ومعبودي، وما أعتقده من النصرانية وما تلقيته من الآباء والأقساء المعمودية أنني من وقتي هذا وساعتي هذه، قد أخلصت نيتي، وأصفيت طويتي في الوفاء للسلطان المنصور، ولولده الملك الصالح، ولأولادهما بجميع ما تضمنته هذه الهدنة المباركة، التي انعقد الصلح عليها، على مملكة عكا، وصيدا، وعثليث وبلادها، الداخلة في هذه الهدنة، المسماة فيها التي مدتها عشرة سنين كوامل، وعشرة أشهر، وعشرة أيام، وعشر ساعات. أولها يوم الخميس ثالث حزيران سنة ألف وخمسمائة، وأربعة وتسعين للاسكندر بن فيلبس اليوناني. وأعمل بجميع شروطها شرطا شرطا. والتزم الوفاء بكل فصل في هذه الهدنة المذكورة إلى انقضاء مدتها.

واني والله والله، وحق المسيح، وحق الصليب، وحق ديني لا أتعرض الى بلاد السلطان وولده، ولا إلى من حوته وتحويه من سائر الناس أجمعين. ولا إلي من يتردد منها إلى البلاد الداخلة في هذه الهدنة بأذية، ولا ضرر في نفس ولا في مال.

وانني والله، وحق ديني ومعبودي، أسلك في المعاهدة والمهادنة، والمصافاة والمصادقة، وحفظ الرعية الاسلامية، والمترددين من البلاد السلطانية، والصادرين منها وإليها طريق المعاهدين والمتصادقين الملتزمين كف الأذية، والعدوان عن النفوس والأموال.



والتزم الوفاء بجميع شروط هذه الهدنة الى انقضائها مادام الملك المنصور وافيا باليمين التي حلف بها على الهدنة. ولا انقض هذه اليمين، ولا شيئا منها، ولا أستثني فيها، ولا في شيء منها طلبا لنقضها.

ومتى خالفتها أو نقضتها، فأكون بريئا من ديني، واعتقادي ومعبودي، وأكون مخالفا للكنيسة.

ويكون علي الحج إلى القدس الشريف ثلاثين حجة حافيا، حاسرا، ويكون علي فك ألف أسير مسلمين من أسر الفرنج، وإطلاقهم، وأكون بريئا من اللاهوت الحال في الناسوت.

واليمين يميني، وأنا فلان، والنية فيها بأسرها، نية السلطان الملك المنصور، ونية الملك الصالح، ونية مستحلفي لهما بهما على الانجيل المكرم، ولا نية لي غيرها والله والمسيح على ما نقول وكيل.

تمت الهدنة والأيمان. والله أعلم.





ملحق رقم (٥)

هدنة عكا

نسخة الهدنة التي كتبت بين السلطان المنصور قلاوون وولده الملك الاشرف خليل، وبين الحكام في عكا وصيدا وعثليث في سنة ٦٨٢ هـ، من كتاب ابن عبد الظاهر، تشريف الايام والعصور، ص ٣٤-٤٣.

وفي هذه السنة اجاب مولانا السلطان مسألة اهل عكا ،عندما تكررت رسلهم الى خدمته في الشام ومصر ، بسبب الصلح ،ومنعهم من الحضور في البر ، وانهم لا يحضرون الا في البحر ان ارادوا الحضور ، فحضروا في البحر . واخر الامر انهم نزلوا على حكمه بعد ان كانوا اشتطوا عند انقضاء الهدنة الظاهرية . ولما كان في صفر من هذه السنة حضرت رسلهم واكابرهم ، وعقدوا الهدنة وحلف مولانا السلطان عليها بحضور رسل الفرنجية /وهم نفران من بيت الديوية اخوة ، ونفران من بيت الاسبتار اخوة ، ومن الملوكية فارسان كليام والي الولاة، والوزير فهد،وهي:

استقرت الهدنة بين مولانا السلطان الملك المنصور وولده السلطان الملك الصالح علاء الدنياوالدين عليّ-خلدالله سلطانهما-//وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعثليث وبلادها التي انعقدت عليها هذه الهدنة. وهم السنجال أود كفيل المملكة بعكا ،والمقدم افريركليام ديباجوك مقدم بيت الديوية ، والمقدم افرير نيكول للورن مقدم بيت الاسبتار، والمرشان افريركورات نائب بيت مقدم اسبتار الامن لمدة



عشر سنين كوامل ، وعشرة شهور. وعشرة ايام ، وعشر ساعات ، اولها يوم الخميس خامس شهر ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة النبوية الموافق الثالث من حزيران سنة الف وخمسمائة (و) اربعة وتسعين لغلبة الاسكندر ابن فيلبس اليوناني ، على جميع بلاد مولانا السلطان الملك المنصور ، وولده السلطان الملك الصالح علاء الدنيا والدين عليّ، جميع القلاع// والحصون والبلاد والممالك والاعمال والمدن والقرى والمزراع والاراضي، وهي مملكة الديار المصرية وما بها من الثغور والقلاع والحصون الاسلامية، وثغر دمياط ،وثغر الاسكندرية ونستروة وسنترية وما ينسب الى ذلك من الموانىء والسواحل والبرور ، وثغر فوة وثغر رشيد، والبلاد الحجازية /وثغر غزة المحروس وما معها من الموانىء والبلاد، والمملكة الكركية والشويكية واعمالها ، والصلت واعمالها ، وبصرى واعمالها ومملكة الخليل صلوات الله وسلامه عليه، ومملكة القدس الشريف واعمالها ،والاردن وبيت لحم واعماله وبلادها وجميع ماهو داخل فيها ومحسوب منها،وبيت جبريل ومملكة نابلس // واعمالها ، ومملكة الاطرون واعمالها ،وعسقلان واعمالها وموانيها وسواحلها، ومملكة يافاوالرملة وميناها واعمالها ،وارسوف واعمالها، وقيسارية وميناها وسواحلها واعمالها ، وقلعة قاقون واعمالها، واعمال العوجا وما معها من الملاحة وبلاد الفتوح السعيد واعمالها ومزارعها ،/وبيسان واعمالها وبلادها ،والطور واعماله واللجون واعماله ، وجينين واعمالها،وعين جالوت واعمالها،والقيمون واعماله وما ينسب اليه وطبرية ، وبحيراتها واعمالها وما معها ، والمملكة الصفدية وما ينسب اليها ، وتبنين،وهونين، وما معها من البلاد والاعمال



والشقيف المعروف بشقيف ارنون وما معه //من البلاد والاعمال ، وماهو منسوب اليه ، وبلاد القزن وما معه خارجا عما عين في هذه الهدنة ونصف مدينة اسكندرونة،ونصف ضيعة مارن بقراهما وكرومهما وبساتينهما وحقولهما ، وماعدا ذلك (من اعمال اسكندرونة المذكورة) يكون جمعية بحدوده وبلاده لمولانا السلطان ولولده والنصف «الاخر»لملكة عكا،والبقاع العزيزي/ واعمالها، ومشغرا واعمالها ، وشقيف تيرون واعماله (والعامر جميعها في لايا وغيرها وبانياس واعمالها)، وقلعة الصبيبة وما معها من البحيرات واعمالها، وكوكب واعمالها ، ومامعها ، وقلعة عجلون واعمالها، ودمشق والمملكة الدمشقية وما لها من القلاع والبلاد والممالك والاعمال،وقلعة بعلبك وما معها واعمالها ، ومملكة حمص وما لها من الاعمال والحدود،//ومملكة حماة ومدينتها وقلعتهاوبلادها وحدودها ، وبلاطنس واعمالها وصهيون واعمالها ، وبرزية واعمالها، وفتوحات حصن الاكراد واعماله وصافيثاواعمالها،وميعار واعمالها والعريمة واعمالها، وقدفيا واعمالها ومرقية واعمالها ، وحصن عكار واعماله وبلاده والقليعة واعمالها واعمالها ، وقلعة شيرز واعمالها، وافامية واعمالها، وجبلة واعمالها ،وابوقبيس واعماله ، والمملكة الحلبية ، وماهو مضاف اليها من القلاع والمدن والبلاد والحصون، وانطاكية واعمالها ومادخل في الفتوحات المباركة ، وبغراس واعمالها والدربساك واعماله والرواندان واعمالها وحارم واعمالها // وعينتاب واعمالها وتيزين واعمالها وسيخ الحديد واعماله ،وقلعة نجم واعمالها وشقيف ديركوش واعمالها ، والشغر وأعماله، وبكاس واعماله، والسويداء وأعمالها، والباب وبزاغا وأعمالها والرجية واعمالها ،



وسلمية واعمالها ، وشميمش واعمالها، وتدمر واعمالها وما هو منسوب / الى جميع ذلك ماعين وما لم يعين من الحكام بمملكة عكا.وهم كفيل المملكة ، والمقدم افريركليام ديباجوك مقدم بيت الديوية،والمقدم افريرنيكول للورن مقدم بيت الاسبتار، والمرشان افرير كورات نائب مقدم بيت اسبتار الامن، ومن جميع الفرنج الاخوة والفرسان الداخلين في //طاعتهم وتحويه مملكتهم الساحلية ، ومن جميع الفرنج على اختلافهم ، الذين يستوطنون عكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة من كل واصل اليها في بر و بحر على اختلاف اجناسهم وانفارهم لا ينال بلاد مولانا السلطان الملك المنصور وبلاد ولده السلطان الملك الصالح ولا حصونهما ولا قلاعهما ، ولا بلادهما ولا ضياعهما ، ولا عساكرهما ،ولاجيوشهما ولا عربهما ولاتركمانهما ولااكرادهما ، ولارعاياهما على اختلاف الاجناس [والانفار] ولا ماتحويه من المواشي والاموال والغلال وسائر الاشياء (منهم) ضرر ولا سوء ولا غارة ولا تعوض ولا اذية ايديهم وكذلك كل ما يستفتحه مولانا السلطان الملك الصالح على يدهما ويد عساكرهما ونوابهما من بلاد وحصون وقلاع وملك وولايات برا وبحرا ، سهلا وجبلا. وكذلك جميع بلاد الفرنج التي استقرت الان عليها [هذه] الهدنة من البلاد الساحلية وهي مدينة عكا وبساتينها واراضيها وطواحينها وما يختص بها من كرومها ومالها من حقوق / حولها ، وما تقرر من بلاد في هذه الهدنة ، وعدتها بما فيها من مزارع ثلاثة وسبعون ناحية خاصة للفرنج. وكذلك حيفا والكروم

والبساتين والعدة بحيفا سبع نواحي . وكذلك مارسا بارضها المعروفة بها تكون للفرنج ،كذلك دير السياج ودير مارلياس يكون للفرنج. ويكون لمولانا السلطان من بلاد الكرمل خاصا عفا والمنصورة وباقي بلاد الكرمل وهي ثلاث عشرة ناحية للفرنج ، وعثليث القلعة والمدينة ،والبساتين التي قطعت والكروم وفلاحتها واراضيها تكون لها . ويكون لها من البلاد ست عشرة ناحية وتكون خاصا لمولانا السلطان ما يذكر : وهو قرية الهراميس بكمالها وحقوقها / ومزارعها ، وبقية بلاد عثليث تكون مناصفة خارجا عما للخاص الشريف وعما لخاص عثليث يكون مناصفة : وهي ثمان نواحي ، وفلاحة الاسبتار بعمل قيسارية يكون خاصا للفرنج بما فيها . ونصف مدينة اسكندرونة ونصف قرية مارن بما فيها للفرنج وما عدا ذلك يكون خاصا لمولانا السلطان . ومهما كان في اسكندرونة وقرية مارن من الحقوق والغلة يكون مناصفة ، وصيدا القلعة والمدينة والكروم وضواحيها وجميع ما ينسب اليها يكون خاصا للفرنج ، ويكون لها من البلاد خاصا خمس عشرة ناحية وما في الوطاة من انهار ومياه وعيون وبساتين وطواحين وقنى ومياه جارية وسكور لهم بها عادة قديمة تسقى اراضيهم يكون خاصا لهم . وما عدا ذلك من البلاد الجبلية تكون لمولانا السلطان ولولده بكمالها. وتكون هذه البلاد العكاوية وما عين في هذه الهدنة آمنة من مولانا السلطان ومن ولده ومن عساكره وجيوشه (وتكون هذه البلاد المشروحة الداخلة في هذه الهدنة المباركة) ما هو خاص وما هو



مناصفة آمنة مطمئنة ومن بها. وليس للفرنج ان يجددوا في غير عكا وعثليث وصيدا مما هو خارج عن الاسوار في هذه الجهات الثلاث سورا ولا قلعة ولا برجا ولاحصنا قديما ولا مستجدا. وعلى ان شوانى مولانا السلطان وشوانى ولده متى عمرت وخرجت لاتتعرض لأذية البلاد الساحلية التي انعقدت الهدنة عليها واذا قصدت الشوانى المذكورة جهة غير هذه الجهات وكان صاحب تلك الجهة معاهدا للحكام بمملكة عكا فلا تدخل الى البلاد التي انعقدت الهدنة عليها ولا تتزود منها وان لم يكن صاحب تلك الجهة التي تقصدها الشوانى معاهدا للحكام بمملكة عكا فلها ان تدخل الى بلادها وتتزود منها وان انكسر شيء من هذه الشوانى والعياذ بالله - في ميناء من الموانى التي انعقدت الهدنة عليها وسواحلها فان كانت قاصدة الى من له مع مملكة عكا عهدا او مع مقدمها فيلزم كفيل المملكة بعكا ومقدمي البيوت حفظها ، ويمكن رجالها من الزوادة واصلاح ما انكسر فيها والعود الى البلاد الاسلامية ويبطل حركة ما ينكسر منها او يرميه البحر فان لم يكنللذي تقصده الشوانى معهم عهد وانكسرت فلها ان تتزودوتعمر رجالها من البلاد المنعقدة عليها الهدنة وتتوجه الى الجهة المرسوم بقصدها . ويعتمد هذا الفضل من الجهتين . وعلى انه متى تحرك احد من ملوك البحر الفرنجية وغيرهم من جوا البحر لقصد الحضور لمضرة مولانا السلطان او مضرة ولده في بلادهما المنعقدة عليها هذه الهدنة فليلتزم نائب المملكة والمقدمون



بعكا تعريف مولانا السلطان بحركتهم قبل وصولهم الى البلاد بمدة شهرين وان وصلوا بعد انقضاء مدة شهرين فيكون كفيل المملكة بعكا والمقدمون براء من عهدة اليمين في هذا الفصل .وان تحرك عدو من جهة البر من التتار وغيرهم فأي من سبق اليه من الجهتين فيعرف الجهة الاخرى وعلى انه ان قصد البلاد الشامية -والعياذ بالله -عدو من التتار وغيرهم في البر وانحازت العساكر قدامهم ووصل العدو الى القرب من البلاد الساحلة الداخلة في هذه الهدنة وقصدوها بمضرة فلكفيل المملكة بعكا والمقدمين بها ان يداروا عن نفوسهم ورعيتهم وبلادها بما تصل قدرتهم اليه. فان حصل جفل -والعياذ بالله - من البلاد الاسلامية الداخلة في هذه الهدنة فيلزم كفيل المملكة بعكا والمقدمين حفظهم والدفع عنهم ومنع من يقصدهم بضرر ويكونون آمنين مطمئنين بما معهم وعلى ان نائب المملكة بعكا والمقدمين يوصون في سائر البلاد الساحلية التي وقعت الهدنة عليها انهم لا يمكنون حرامية البحر من الزوادة من عندهم ولا من حمل ماء وان ظفروا باحد منهم يمسكوه وان باعوا عندهم بضائع يمسكوا حتى يحضر صاحبها وتسلم اليه ،وكذلك يعتمد مولانا السلطان في امر الحرامية هذا الاعتماد. وعلى ان تكون كنيسة الناصرة واربع بيوت من اقرب البيوت لزيارة الحجاج وغيرهم من دين الصليب كبيرهم وصغيرهم على اختلاف اجناسهم وانفارهم من عكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة . ويصلى بالكنيسة



الاقسـاء والرهبان وتكون البيـوت لزوار كنيسـة الناصـرة خاصـة ، ويكونون آمنين مطئنين في توجـهم وحـضـورهم الى حـدود البـلاد الداخلة في هذه الهدنة ،واذا نقبت الحجارة التي بالكنيسة ترمى برا ولا يحط منها حجر على حجر لاجل بناء ولا يتعرض الى الاقساء والرهبان في ذلك على وجه الهبة بغير حق . وتضمنت الهدنة تقرير الشـروط الجـاري بهـا العـادة. ولما حلف مـولانا السلطان على هذه الهدنة توجه الامير فخر الدين اياز امير حاجب والقاضي بدر الدين بن رزين لتحليف الفرنج فحلفوا واستقر ذلك.



ملحق (٦)

نسخة الهدنة التي استقرت بين السلطان المنصور قلاوون وولده الملك الاشرف خليل، وبين الملكة دام مراريت (مرجريت) مالكة صور في سنة ٦٨٤هـ. من كتاب ، ابن عبدالظاهر،تشريف الايام والعصور، ص ١٠٣-١١٠.

استقرت الهدنة المباركة بين مولانا السطان الملك المنصور سيف الدينا والدين ، سلطان الاسلام والمسلمين قسم امير المؤمنين وولده . وولى عهده المولى السلطان الملك الصالح علاء الدنيا والدين علي خليل امير المؤمنين ، وولده الملك الاشرف صلاح الدين خليل -خلد الله سلطانهماو ادام دولتهم -وبين الملكة الجليلة دام مراريت بنت سيرهري بن الابرنس بيمند مالكة صور حال استقرار هذه الهدنة ونائبها بمملكة صور وهو القومص الجليل سير ريمون يسكند لمدة عشر سنين كوامل متواليات متتابعات اولها يوم الخميس الرابع عشر من جمادى الاول سنة اربع وثمانين وستمائة للهجرة النبوية . صلوات الله عليه الموافق الثامن عشر تموز سنة الف وخمسمائة وستة وتسعين للاسكندر بن فيليبس اليوناني وآخرها الرابع عشر من جمادى الأول من سنة اربع وتسعين وستمائة الموافق للثامن عشر من تموز سنة ألف وستمائة وخمس للاسكندر، يتبع بعضها بعضا، على





حكم ما استقر عليه الحال الى اخر ايام الملك الظاهر رحمه الله -متتاليات الساعات والايام والشهور والسنين الى آخرها على جميع البلاد الاسلامية الداخلة في ممالك بلاد مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاون الصالحي ، قسيم امير المؤمنين ، وبلاده وقلاعه ومدنه وحصونه، وما اشتملت عليه مملكة الديار المصرية . وما فيها من الثغور والسواحل والقلاع والمدن ، والمملكة الشامية وما اشتملت عليه من الثغور والقلاع والحصون والمدن، والثغور الساحلية، وما اشتملت عليه من الحصون ، ومن برور ومن موانى ومن بلاد. والبلاد البعلبكية والحمصية والحموية والفتوحات الشريفة بحصن الاكراد وحصن عكار ،وما يضاف اليها ودخل في جملتها من ثغور وبلاد معاهدية وحصون وبرور وسواحل ، والمملكة الحلبية والفتوحات الانطاكية ، وما هو مجاور لصور من المملكة الصفدية والشقيفية وغيرها من القلاع والحصون والبلاد ، على كل ما هو داخل في مملكةمولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين من ممالك وحصون وقلاع وثغور ومدن وقرى وسواحل وموانى وبرور قريبها وبعيدها ، سهلها ،و جبلها عامرها وداثرها ، غورها ونجدها شرقها وغربها يمنها وحجازها شآميها ومصريها وما تشتمل عليه من قرى ومزارع وانهار وطواحين وابراج وبساتين ، وعلى من حوته هذه الممالك وتحويه من عساكر وجند ورعايا وعرب وتركمان واكراد وفلاحين وسائر اجناس الناس اجمعين على اختلاف اجناسهم وتغاير اشكالهم واديانهم ، وعلى اموالهم ومواشيهم على تغاير



اصوافها واوبارها والاموال على تغاير اجناسها. تكون هذه الممالك المذكورة ، وما اشتملت عليه ، ومن فيها من سائر الناس اجمعين الساكنين بها والقاطنين والمترددين اليها ومنها وفيها من التجار والسفار آمنين مطمئنين على انفسهم واموالهم ومواشيهم في حالتي صدورهم وورودهم وسفرهم وإقامتهم وما لمعاهديه من البلاد والجهات وما سيفتحه الله على يد مولانا السلطان الملك المنصور ، وعلى يد اولاده ويد عساكرهم وجنودهم ، وجيوشهم من الحصون والبلاد والقلاع يجري عليها وعلى من فيها ، وما فيها حكم هذه الهدنة المباركة الى آخر مدتها ، وعلى بلاد الملكة دام مراريت بنت سرهري بن الابرنس بيمند المعينة لها خاصا ومناصفة في هذه الهدنة ، وهي مدينة صور وما دارت عليه اسوارها وضواحيها خاصة ، ومافيها من الاراضي التي تزرع فيها البقول والاقصاب والمعاصر التي لا دمنة لها وهي المعوقة ورشمون -أراضي الزيتون- من الضواحي التي لا دمنة لها ، وبستان العوجا الذي لا دمنة له ، والحكورات والطواحين التي حول مدينة صور تكون هذه الضواحي المذكورة بما فيها من اراضي الاقصاب ومزارع البقول والمعاصر التي من جملة الضواحي خاصة لصور . وذلك بشرط ان تكون رشمون والمعوقة وبستان العوجا اراضي من ضواحي صور بغير دمن ، ولا قرى ، وعلى ان يكون لمولانا السلطان الملك المنصور ولاولاده السلطان الملك الصالح والملك الاشرف نصرهم الله خاصا لهم الخمس الضياع من ضياع صور اجودها واكثرها متحصلا من عين وغلة ، التي استقرت



في الخــاص الشــريف السلطاني من الايام الظاهرية وهي:قــانا ومزرعتها،القروية ، اصريفيا ومزرعتها ، حان يخن وما بكمالها ، المجادل بكمالها ، كفر دبين بكمالها على ماستقر عليه الحال الى اخر الايام الظاهرية . تكون هذه الخمس القرى خاصا جميعها باراضيها وحدودها وحقوقها ، وكل ما هو داخل فيها ومنسوب اليها لمولانا السلطان الملك المنصور ، ولأولاده من غير مشاركة لهم في ذلك وتكون للملكة مراريت مالكة صور من ضياع صور عشر ضياع من قرايا مرج صور خاصا لها على ما هو مستقر في الهدنة الظاهرية : ان هذه العشر الضياع تكون خاصا لملكة صور حسبما عينت باسمائها فيها ، وهي عين ابي عبدالله ، القاسمية ، سدس ، قحلب ، المرفوف ، الجارودية ،الجمادية ، مرفلة ، راس العين ، برج الاسبتار ، تكون هذه العشر الضياع المذكورة بحقوقها وحدو[دها] وارضيها وما هو داخل فيها خاصا لملكة صور دام مراريت مالكة صور ، وعلى ان تكون بقية بلاد صور جميعها بما فيها من مزارع وعدتها بما فيها من المزارع ثماني وسبعون ضيعة ومزرعة ، وهي الطالية ، درتية ، الدهرية ، الفنونية العثية ، وادى الحجاج ، العرتية ، البحتية ، المالكية ، دير عمران ، التعتبية ، الكبية ، بابولية ، الحمية ،دير قالون ، غرايغال ، الزيادات ، وحيوية ، ربعين ، بني دفنع ، مارنين ، عيا، صديقي رسكيانية، رفلية، عثليث ومزرعتها ، الملاحات، السحنونية ، الفراخية ،،طرقان الدير ، المعلية الخميرا، روتية ، بابوح، فقعة، البارورية، كفردهال، حوبا ومزرعتها، سرفية، مجدل، ،بيت روح، طرسا ، فسون،



التفاحية ، أمد، ركنا ، مارون، طرسنحات، كفرناى، بنى باقتلة معولة ،طفلسة، اشحور، الرمر، الفهرون،دوردغيا ، ابروخية، هرين، الصوافي،حلوسية، معروب، بعليث، درفانون ، طرديا، بدياس، النعمانية، بدوث، الحمرانية، طورا، السرفيات، برد سيل الجديدة، العباسة، الحنيثة، السفلسة، اشحور، الفاه، شادسة، العجيلة، المصرية، وذلك خلاالمعوقة، ورشمون، وبستان العوجا التي ذكرناها ليست بقراه،وان المعوقةاسم المعصرة ،وبستان العوجا غير قرية،ورشمون غير قرية، وان كانت قرى كانت من جملة بلاد المناصفات،وان لم تكن قرى كانت من جملة ضواحي المختصة بها .وحدود هذه البلاد جميعها من جهة القبلة مرفلة وقرية دير عمران ،وبرج وادي الحجاج ، والعربية،وريف،وبارين،ومن الشرق عنافةسكاسة،ومجدل شرقية والسحنونيةالداخل ذلك المناصفات،وقانا،محروما،والمجادل،وكفر دبين الداخل في الخاص الشريف،ومن الشمال اصرفيا الداخلة في الخاص الشريف،ونهر القاسمية،ومن الغرب البحر تكون هذه القرايا المذكورة في هذه الهدنة جميعها بمزارعها وحقوقها واراضيها وطواحينها وانهارها وبساتينها ودمنها ،ومتحصلات مغلاتها من وجوه العين، والغلة مناصفة بين مولانا السلطان الملك المنصور ، وبين الملكة دام مراريت مالكة صور يقسم جميع المتحصل بها من وجوه العين والغلة ،وحقوق ،وزكاوات وعداد ،وحكورات ،واجر وضمانات ،وخراجات وجبايات ،ومواريث، وغير ذلك من سائر الحقوق قليلها وكثيرها نصفين بين الجهتين



بالسوية . ويستقر الحال في جميع الاشياء ، كما كانت الى اخر الايام الظاهرية ،وعلى ان يكون المباشر لهذه الضياع والمناصفات المذكورة والمستخرج لاموالها وغلالها نواب مولانا السلطان الملك المنصور عز نصره باتفاق مع نواب الملكة دام مراريت مالكة صور بيحث لا تنفرد جهة عن جهة باستخراج درهم ولا غيره ،وعلى ان يستمر الشخص بارض الزهرية في المكان الذي جرت به عادته في الايام الظاهرية ، وعلى ان تكون هذه البلاد المختصة بمالكة صور امنة مطمئنة هي ومن فيها من عسكرها وخيالتها ورجالتهاورعيتها وتجارها على انفسهم واموالهم واولادهم ومواشيهم في حالتي صدورهم وورودهم وسفرهم واقامتهم الى اخر هذه الهدنة ، وعلى ان التجار والسفار والمترددين من الجهتين يترددون ويبيعون ويشترون ويوردون ويصدرون امنين مطمئنين على نفوسهم واموالهم ، وعلى انهم لا يحدث عليهم شيء غير ماجرت العوائد به من الجهتين ،وان الممنوعات مستقر حالها في البيع على حالتها ، وعلى ان المراكب من الجهتين المترددة في البحر تكون كل فرقة منها من الفرقتين آمنة من الفرقة الاخرى مطمئنة في البحور والمراسى والدخول والخروج ، تلتزم كل طائفة من الجهتين كف الاذية عن الجهة الاخرى ، وعلى انه متى انكسر مركب من الجهتين ان كان لمسلم تسلمه له ان كان موجودا ، ولنواب مولانا السلطان ان كان مفقودا .وان كان لنصراني من بلاد مولانا السلطان -عزنصره- فالحكم فيه كحكم المسلم ،وان كان من اهل صور ومن رعية الملكة مالكة صور يسلم له المال ان كان

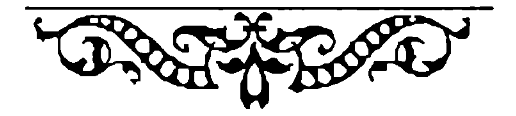
موجودا ،ولديوانها ان كان مفقودا .وان مات احدمن الجهتين في الجهة الاخرى وان لم يكن له وارث يجري عليه هذا الحكم من الجهتين ولا يخفي ماله ،وعلى انه متى قتل احد من الجهتين ووجد القاتل فان كان القاتل مسلما يحكم فيه نواب مولانا السلطان الملك المنصور -نصره الله- بما تقتضية سياسة السلطنة الشريفة المطهرة ،وان كان نصرانيا من اهل صور تحكم فيه الملكة دام مراريت مالكة صور ،كل جهة بحضور نائب من الجهة الاخرى يباشر الحكم فيه بما تقتضية احكام الجهتين . وذلك يكون الحكم في كل من تعدى واسرف واغتال ،يتولى ذلك نواب مولانا السلطان تأديب المسلم ،وتأديب النصراني يتولاه نواب الملكة مالكة صور ، وان خفي امر القتيل كانت دية الفارس من الجهتين الفاومائة درهم صورية والتركبلي مائتي درهم ، والفلاح مائة دينار ،والتاجر تكون ديته على قدر جنسه واصله ومقدرته،يؤخذ ذلك من اهل القرايا التي يقتل فيها ذلك الشخص جناية لهم وتأديبا جملة واحدة ، يعتمد ذلك من الجهتين.وان كان المقتول في المناصفات كان متحصل الجناية مناصفة ، وعلى انه متى اخذت اخيذة ترد بعينها ان كانت موجودة او قيمتها ان كانت مفقودة وان خفي امر القتيل او امر الاخيذة كانت المهلة في الكشف عن امره اربعين يوما .وان لم يظهر له خبز حلف والى تلك الجهة وثلاثة انفار ممن تختارهم الجهة الاخرى .وان امتنعوا من اليمين لزمت الجناية المذكورة وقيمة الاخيذة ،وعلى انه متى هرب احد من الجانبين يرد بما معه ، ،ومتى هرب مملوك من اي جنس كان يرد بجميع ما معه ذكرا كان او انثى،عبداكان او

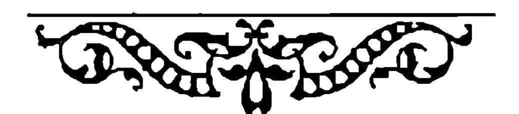


حرا،يعتمد ذلك عل الجانبين وعلى ان الملكة دام مراريت مالكة صور لا تستجد بناء قلعة ولا تجديد سور ولا حفر خندق ولا ما يتحصن به مما يمنع او يدفع .وعلى ان مولانا لا يفسح لاحد من عساكره ولا من جنوده من اهل بلاده من التطرق لبلاد صور المعينة في هذه الهدنة بأذية ولاضرر ولا سرقة ولا عدوان ولا غدر لا في بر ولا بحر ولا يتعرض احد من عساكر مولانا السلطان وجنوده ومعاهديه للملكة دام مراريت مالكة صور لافي نفسها ولا خيالتها واصحابها خلا الاسماعيلية الذين تحت حكم مولانا السلطان . ولمولانا السلطان ان يجهز من شاء منهم الى مالكة صور بالسوء والضرر متى اراد وعلى ان الملكة دام مراريت مالكة صور تلتزم حفظ بلاد مولانا السلطان من جهتها من متجرم او مفسد او رجل غريبة وسائر الافرنجية يتطرق من بلادها الى بلاد مولانا السلطان بأذية او اغارة او فساد او عدوان .وعلى ان الملكة دام مراريت مالكة صور لا توافق احدا من سائر الفرنجية على امر فيه اذية لبلاد مولانا السلطان او ضرر على ممالكه او رعاياه وسائر من فيها وما فيها ، ولاتساعد احدا على ذلك برمز ولا كتابة ، ولا اشارة ولا رسالة الى حين انقضاء هذه الهدنة . ولها من مولانا السلطان مثل ذلك ،وعلى انه متى انقضت الهدنة او وقع-والعياذ بالله-فسخ من احد من الجهتين كانت المهلة للتجار والسفار والمترددين اربعبن يوما حتى يعود كل احد بما له الى مأمنة ووطنه آمنين مخفرين من الجهتين .تستقر هذه الهدنة بشروطها المحررة ،وقواعدها المقررة ،لا تنتقض احكامها ،ولاينفك نظامها بموت



احد من الجهتين ولا بعزل وال ولا تولية غيره ولا برجل غريبة ولا بيد غالبة ، بل تستمر مدتها وتوفى عدتها وهي عشر سنين كوامل متتاليات ،اولها الرابع عشر من جمادى الاول سنه اربع وثمانين وستمائة للهجرة النبوية الموافق لليوم الثامن عشر من تموز من سنة الف وخمسمائة واخرها الرابع من جمادى الاول من سنه اربع وتسعين وستمائة الموافق الثامن عشر من تموز من الف وستمائه ،وخمسة للاسكندربن فيلبيس اليوناني .يلتزم كل من الجهتين حفظها الى اخرها ومن تولى بعد الاخر حفظها الى اخرها والخط الشريف اعلاه حجة بمقتضاة حجة ان شاء الله تعالى.






مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

المصادر والمراجع




مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان



المصادر والمراجع

- إبن الأثير،علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، الكامل في التاريخ، ١٣ مجلدا، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.
- التاريخ الباهرفي الدولة الاتابكية، تحقيق عبدالقادر طليمات، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، ١٩٦٣م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الاجزاء ٥-٧، طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ابن جبير، ابو الحسن محمد بن احمد بن جبير، رحلة ابن جبير ، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م.
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٧ أجزاء، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٢م.

  وطبعة دار الكتاب اللبناني ١٤ مجلدا، بيروت، ١٩٨١م.
- ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، المعروف بسيرة صلاح الدين، مطبعة التمدن، بالقاهرة، ١٩٠٣م، ونسخة منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٧٩م.





- ابن عبدالظاهر، محي الدين عبد الله بن رشيد الدين، تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة، ١٩٦١م.
- ابن القلانسي، ابو يعلي حمزة بن اسد بن علي، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.
- ابن هشام، ابو محمد عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، حققها مصطفى السقا، ابراهيم الابياري، عبدالحفيظ شلبي، ٤ أجزاء في مجلدين، دار الكنوز الأدبية،القاهرة، عن طبعة البابي الحلبي، ١٩٣٦م.
- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني ايوب، خمسة أجزاء، الجزء ١، ٢، ٣ حققها جمال الدين الشيال،المطبعة الاميرية القاهرة ١٩٥٣م-١٩٦٠م، الجزء الرابع حققه حسنين ربيع، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢م، والجزء الخامس حققه حسنين ربيع، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٧م.
- ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل، كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ٢ جزء، تحقيق محمد حلمي محمد، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٥٦م-١٩٦٢م.
- الأزدي ، فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عامر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٠م.
- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان،

تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية،بيروت، ١٩٧٨م.

- بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان،الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٧م.
- الطبري، ابو جعفر محمد بن جريرالطبري، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، الجزء الثالث، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف، ١٩٦٢م.
- العماد الكاتب الاصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة، ١٩٦٥م.
- العيني، بدر الدين محمود العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، عصر سلاطين المماليك، ٦٤٨-٦٦٤هـ، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.

ــ ٦٦٥ - ٦٨٨هـ، تحقيق محمد محمد امين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م.

ــ ٦٨٩ - ٦٩٨هـ، تحقيق محمد محمد امين، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، ١٩٩٠.

- القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي بن احمد، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ١٤ جزءا، القاهرة، ١٩٦٣م.
- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزءان ١، ٢، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٤-١٩٤٢م.



- النويري، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب، نهاية الأدب في فنون الادب، الجزء ٣٠ تحقيق محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م، والجزء ٣١ تحقيق الباز العريني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.
- اسمت غنيم، الحملة الصليبية الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م
- انتوني بردج، تاريخ الحروب الصليبية، نقلة الى العربية، أحمد غسان سبانو ونبيل الجيرودي، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٥م.
- حسن حبشي ، الحرب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٨م.
- جوزيف نسيم،العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.
ـــ الوحدة وحركات اليقظة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.
ـــ العدوان الصليبي على مصر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.
- رنسيمان استيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، ٣ أجزاء، دار الثقافة بيروت، ١٩٦٧م-١٩٦٨م.
- سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ٢ جزء، ط٤، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م.
- سهيل زكار ، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، ط ٣، ١٩٧٥م.





- شاكر أحمد بدر، الحروب الصليبية والاسرة الزنكية، بيروت، ١٩٧٢م.
- سميل ، الحروب الصليبية، ترجمة سامي هاشم، المؤسسة العربية للدراسات والنشربيروت، ١٩٨٢م.
- عبد الكريم احمد، القومية والمذاهب السياسية،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م.
- عمر كمال، الدبلوماسية الاسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٦م.
- يوسف غوانمة، امارة الكرك الايوبية، ط٢، دار الفكر، عمان ، ١٩٨٢م.
- دراسات في تاريخ الاردن وفلسطين في العصر الاسلامي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٣م.
- التاريخ السياسي لشرقي الاردن في العصر المملوكي، ط٢، دار الفكر، عمان ، ١٩٨٢م.
- عروبة القدس في ضوء الحقائق التاريخية، مجلة شؤون عربية،العدد ٤٠، ١٩٨٤م.
- نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، دار الحياة، عمان، ١٩٨٢م.
- الحسين بن علي الملك والثائر، خطاب جديد لفكر النهضة العربية، دار الفكر، عمان، ١٩٩٤م.

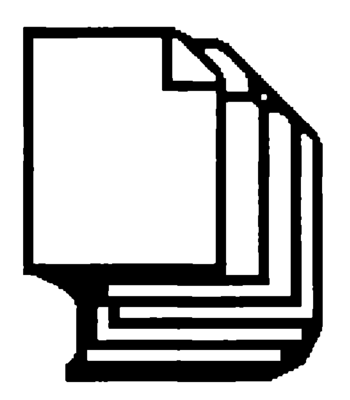


-Barker, (E), The Crusades, Oxford University Press,1923.
- Flucher of Carter, A history of the expeditionto Jerusalem, translated by : F. Rita, New York,1973.
- Prawar, (J), The Latin Kingdom of Jerusalem, Londond,1972.
- Setton, (K.M.) A history of the Crusades,2 vols, Pensaylvania, U.S.A.1958.
- William of Tyre, A history of deads done beyod the Sea,1943,2 vols., New York.



الفهارس

- كشاف باسماء المدن والمواقع
- فهرس موضوعات الكتاب




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين



كشاف باسماء المدن والمواقع

(أ)


١٩٦



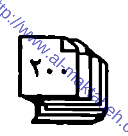
(ت)

(ج)

(ح)




مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان



(ر)

(س)

(ش)



(ع)

(غ)





(ف)

(ق)


٢٠٤
http://www.al-maktabeh.com

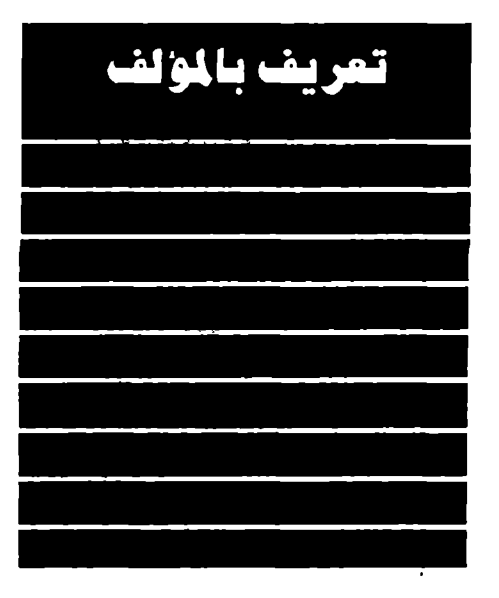

٢٠٥

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة


٢٠٨





تعريف بالمؤلف

[redacted]





تعريف بالمؤلف

- الدكتور يوسف حسن غوانمة
- من مواليد سحم الكفارات / محافظة اربد في المملكة الاردنية الهاشمية.
- أنهى دراسته الابتدائية والثانوية في مدينة اربد .
- انهى دراسته الجامعية في جمهورية مصر العربية .
- وحصل على درجة الدكتوراة من جامعة الاسكندرية في التاريخ عام ١٩٧٨م
-وحصل على Post Doctorate من جامعة برنستون في الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٧٩م مبعوثا من جامعة اليرموك.
- عين في جامعة اليرموك برتبة استاذ مساعد عام ١٩٧٨م
- رقي الى رتبة استاذ مشارك عام ١٩٨٣م
-. ثم رقي الى رتبة الاستاذية في التاريخ عام ١٩٨٧م
- أسس قسم التاريخ في جامعةاليرموك وكان اول رئيس له في المدة من ١٩٨٤/٢/٤ لغاية ١٩٨٦/٩/١م
- عين نائبا لعميد كلية الآداب من ١٩٨٦/٩/١م لغاية ١٩٨٨/٩/١٢م
- ثم أسس كلية التربية والفنون وكان اول عميد لها في المدة من ١٩٨٨/٩/١٣م لغاية ١٩٩٠/٨/٣١م
- شغل منصب رئيس لقسم الفنون الجميلة بالاضافة الى عميد كلية التربية والفنون من ١٩٨٨/٩/١٨م لغاية ١٩٨٩/٩/٩م.
- عين عميدا لكلية الآداب في المدة من ١٩٩٠/٩/١ ولغاية ٩٤/٩/١٦م



- حاز على وسام المؤرخ العربي من اتحاد المؤرخين العرب عام ١٩٩١م.
- ونال جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية من وزارة الثقافة الاردنية عام ١٩٩١م.
- له تسعة عشر كتابا منشورا.
- نشر اكثر من سبعين بحثا في مجلات علمية محكمة.
- شارك في اكثر من خمسة وثلاثين مؤتمرا علميا في انحاء مختلفة من العالم.
-وهو رئيس وعضو في عشرات اللجان على مستوى الجامعة والمملكة.
- سجل عدة حلقات تلفزيونية عن الآثار الاسلامية في الأردن، وشارك في العديد من الندوات الفكرية والثقافية في التلفزيون الاردني والقناة الفضائية الاردنية.
-كتب عشرات الحلقات الاذاعية عن تاريخ الاردن وفلسطين لاذاعة المملكة الاردنية الهاشيمة.
- وهو عضو في هيئات تحرير عدد من المجلات الاكاديمية والثقافية في الاردن وخارجها
- أسس مجلة المسكوكات في جامعة اليرموك وكان اول رئيس لهيئة التحرير فيها.
- أسس أول منتدى ثقافي في الأردن وهو المنتدى الثقافي/اربد، وتراسه منذ عام ١٩٨٢.

- تخرج على يديه العديد من طلبة الماجستير ويعمل على تأسيس مدرسة في قسم التاريخ للدراسات التاريخية الشامية.
- طور قسم الصحافة وقسم الفنون الجميلة في جامعة اليرموك واهتم بجريدة صحافة اليرموك وهيأ لها الاجهزة الحديثة للصف الضوئي.
- رفع من سوية قسمي اللغة الانجليزية وقسم اللغات الحديثة في كلية أداب جامعة اليرموك ووفر لهما المختبرات اللازمة والوسائل التعليمية الأخرى.
- عمل على ايجاد كرسي سمير شما للمسكوكات في قسم التاريخ ووفر له الوقفية ومجموعة من المسكوكات الاسلامية من صاحب الكرسي.
- دعي كاستاذ زائر الى عدد من الجامعات العربية والاجنبية.
- ترجمت بعض كتبه الى اللغات الاجنبية.

= وهو الان استاذ التاريخ والحضارة بقسم التاريخ بجامعة اليرموك.



كتب صدرت لمؤلف

١- عمان حضارتها وتاريخها، دار اللواء، عمان ١٩٧٩م.

٢- التاريخ السياسي لشرقي الاردن في عصر دولة المماليك الأولى، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٧٩م، طبعة أولى، وطبعة ثانية، دار الفكر، عمان، ١٩٨٢م.

٣- التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، طبعة أولى، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٧٩م، وطبعة ثانية، دار الفكر، عمان ، ١٩٨٢م.

٤- إمارة الكرك الايوبية، طبعة أولى، منشورات بلدية الكرك، ١٩٨٠م، وطبعة ثانية، دار الفكر، عمان، ١٩٨٢م.

٥- غلاة الشيعة الباطنية في بلاد الشام، المطابع التعاونية، عمان، ١٩٨١م.

٦- علماء وفقهاء محافظة اربد، منشورات جامعة اليرموك، ١٩٨٢م.

٧- تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي دار الحياة، عمان، ١٩٨٢م.

٨- دارسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الاسلامي، دارالفكر، عمان، ١٩٨٣م.

٩- أيلة (العقبة) والبحر الاحمر واهميتهما التاريخية والاستراتيجية، دار هشام، للنشر والتوزيع، اربد، ١٩٨٤م.

١٠- الحياة العملية والثقافية في الاردن في العصر الاسلامي، دار هشام للنشر والتوزيع، اربد، ١٩٨٤م.

١١- معركة اليرموك، دار هشام للنشر والتوزيع، اربد، ١٩٨٥م.

١٢- مدينة اربد في العصر الاسلامي، منشورات مركز الدراسات الاردنية، جامعة اليرموك، ١٩٨٦م.

١٣- اضرحة الصحابة في غور الأردن، منشورات مركز الداراسات الاردنية، جامعة اليرموك، ١٩٨٦.

١٤- المساجد الاسلامية القديمة في منطقة عجلون، منشورات مركز الدراسات الاردنية، جامعة اليرموك، ١٩٨٦م.